طائفة
القاديانية نشأتها وعقائدها

ماذا
ينقمون من السلفية ؟

الإسرائيليون
يُصلّون لبقاء الأسد بالحكم



www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد - العدد الخامس والتسعون - جمادى الأولى ١٤٣٢هـ

الإعلام سلاح العصر.. يا أهل السُنّة

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراسات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

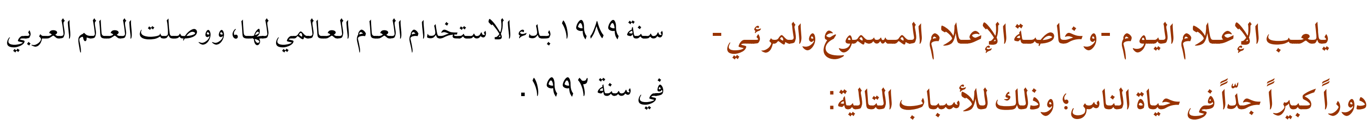
تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(الخامس والتسعون)
جمادى الأولى - ١٤٣٢ هـ

www.alrased.net
info@alrased.net



الإعلام سلاح العصر.. يا أهل السنة!



يلعب الإعلام اليوم -وخاصة الإعلام المسموع والمرئي- دوراً كبيراً جدّاً في حياة الناس؛ وذلك للأسباب التالية:

١ - سهولة استخدامه وتوفره بشكل على نطاق واسع لكثير من الناس، فليس كل الناس يستطيع القراءة -في عالمنا العربي نسبة الأمية تتجاوز ٤٠ %، وفي العالم الإسلامي ٥٥ %-، ومن يستطيع القراءة قد لا يهواها أو لا يملك المال أو الوقت لذلك.

٢ - اعتماد الإعلام اللغة واللهجة المقبولة، والنبي ﷺ حذرنا من خطر اللغة والتلاعب بها وسماها: «**ألحن بحجته**»، وأنها قد تظلل القاضي الحكيم؛ فما بالك بعامة الناس؟ كما أن الإعلام يعتمد على الطلة الجميلة، وعدم توفر الوقت للتحليل والتثبت لدى المستمع والمشاهد بعكس الحال مع الإعلام المقروء؛ ورقيّاً كان أم إلكترونيّاً.

٣ - سعة الانتشار التي يتيحها هذا الإعلام، فخطبة الجمعة يحضرها قريب من ألف مصلٍ في المسجد، ويسمعها بضعة آلاف بواسطة تسجيلها على شريط كاسيت، لكن الملايين يسمعونها إذا بثت عبر الفضائيات ومواقع الإنترنت وعبر العالم كله!!

ومن هنا كان اعتماد الغالبية العظمى من المسلمين وغيرهم في معرفة الأخبار والمعرفة هو على الإذاعة؛ قبل أن تنافسها المحطات الفضائية التي أصبحت بمثابة إذاعات مرئية؛ بعد انتشار برامج الحوار المباشر مع الجمهور، ومؤخراً جاءت موجة الإنترنت وبرامج التواصل الاجتماعية لتصبح منافساً وشريكاً مهمّاً للإذاعة والتلفزيون في إيصال المعلومة والخبر.

أول إذاعة في العالم ظهرت عام ١٩٢٠ تقريباً، وظهر التلفزيون عام ١٩٢٧، الإنترنت بدء بشكل عسكري في أمريكا سنة ١٩٦٩، وفي سنة ١٩٨٩ بدء الاستخدام العام العالمي لها، ووصلت العالم العربي في سنة ١٩٩٢.

لكن أول إذاعة إسلامية كانت إذاعة القرآن الكريم في مصر سنة ١٩٦٤، **أما الفضائيات الخاصة** فقد ظهرت أول فضائية عربية وهي قناة «mbc» سنة ١٩٩١، **أما أول فضائية إسلامية أو ملتزمة فكانت** قناة «إقرأ» سنة ١٩٩٨.

الإعلام العربي حاليّاً يمكن تقسيمه إلى ثلاث فئات:

الأولى: إعلام محور الممانعة؛ كقناة العالم والمنار والجزيرة والحوار، وهو قائم على الخطاب السياسي المعارض، ويتميز بقوة الأداء والمهنية العالية، ويشوبه ضعف الموضوعية؛ خاصة فيما يخص القضايا الداخلية لدول الممانعة، فقضايا الحريات والحقوق في إيران وسوريا والعراق وليبيا لا وجود لها في برامج هذه القنوات، وهناك انحياز واضح في عرض وجهات نظر المخالفين لهم.

الثانية: إعلام محور الاعتدال؛ كقناة «العربية»، وقنوات «mbc» وقنوات «روتانا» وأمثالها، وهي قائمة بشكل رئيسي على الترفيه والترويج لنمط الحياة الغربية، وتبني المنظومة الليبرالية، ولذلك كانت محصلة هذه السياسة أن جماهير الشباب تستمتع ببرامج هذه القنوات التي تثير الغرائز؛ لكنها تتبنى الخطاب المعارض الذي تبثه قنوات الفئة الأولى!!

الثالثة: القنوات الإسلامية -على كثرتها وتنوع مناهجها-، وهي تركز على الشأن الديني بشكل كبير، وبأسلوب موحد تقريباً؛ وهو الدرس أو المحاضرة مع تغيير الديكور فقط!! ولملء الفراغ تبث ساعات طويلة من برامج عالم الحيوان!!

وأهم نقص في هذه القنوات: ضعف البرامج الإخبارية والسياسية المحترفة؛ بسبب نقص الكوادر الإعلامية الملتزمة في هذا المجال على وجه الخصوص، وقلة الشخصيات السياسية ذات المعرفة والتأثير في الوسط الإسلامي.

ولتوضيح الصورة حول هذا التقسيم للإعلام العربي؛ لنقارن مواقف الإعلام العربي من الأحداث الجارية في المنطقة العربية، فالكل شاهد دور قنوات الممانعة مثل: «الجزيرة» ودورها التحريضي في تونس ومصر واليمن، وترددها تجاه البحرين وسوريا وإيران!

أما قنوات الاعتدال فقد كانت بالعكس، مثل: تردد «العربية» في أحداث تونس ومصر، وحزمها في أحداث البحرين وليبيا وسوريا.

أما القنوات الدينية فلم يكن لها دور نهائيّاً؛ سوى دور قناتي «صفا ووصال» الحازم في أحداث البحرين وسوريا، ونوعاً ما في ليبيا.

ولو قارنّا بين أداء القناة البحرينية والتي تملك قضية عادلة وبين القنوات الليبية الحكومية التي تنطق دفاعاً عن سفاح مجرم لكانت النتيجة في صالح القنوات الليبية -مع الأسف!!-، وهذا الحال ينطبق على مداخلات البحرينيين السنة، ومداخلات الليبيين المؤيدين للمجرم القذافي أو بشار الأسد في برامج الحوار خاصة إذاعة الـ «بي بي سي»؛ حيث كانت مداخلات البحرينيين السنة مليئة بالدموع وخالية من المنطق؛ بسبب تجهيل الإعلام الرسمي لهم، بينما مداخلات الليبيين والسوريين فهي مداخلات أعدها خبراء في الإعلام والسياسة!!

ولكون كثير من المعارك اليوم تدور في الفضاء الإعلامي أكثر من دورانها على الأرض تم (قصف) بث قناتي «صفا ووصال» عدة مرات في هذه المرحلة، ومن هنا فإن اهتمام أهل السنة بتقوية سلاح الإعلام يجب أن يكون له أولوية حقيقية في واقع العمل الإسلامي.

إن بقاء الجماهير المسلمة أسيرة الإعلام الإخباري المحصور بين قنوات التثوير والتهييج، وبين قنوات الرقص والعري قضية في غاية الخطورة!

ويمكن تقديم الاقتراحات التالية لتقوية سلاح الإعلام السني في هذه المرحلة:

١ - **قيام روابط الإعلام الإسلامية** -رابطة الصحافة الإسلامية، رابطة الإعلام الإسلامية- **بتأسيس معاهد إعلامية متخصصة؛** لتزويد العاملين في قطاع الإعلام -من مقدمين وفنيين بل وعلماء ودعاة- بالخبرات والمهارات الإعلامية اللازمة.

٢ - **قيام المؤسسات الخيرية بدعم ورعاية هذه المعاهد،** وكفالة الطلبة الأذكياء في منح دراسية لكافة المراحل في المجالات الإعلامية المتعددة.

٣ - **تنبيه الدعاة والعلماء على أهمية تعلم آليات الإعلام؛** ليكون سلاحاً بأيديهم، بدلاً من أن يكون ضدهم! فليس كل خطيب وواعظ يصلح للإعلام.

٤ - **تشجيع بعض القنوات على الاندماج** من أجل تقويتها، بدلاً من بقائها ضعيفة أو إغلاقها.

٥ - **التركيز على تنمية القطاع الإخباري في الإعلام الإسلامي؛** حتى لا نبقى عالة على الآخرين.

٦ - **توجيه الطاقات الجديدة لدخول مجالات جديدة في الإعلام؛** سواء من ناحية الشكل أو المضمون، وعدم الاقتصار على الجوانب الوعظية والتدريسية والشرعية البحتة.

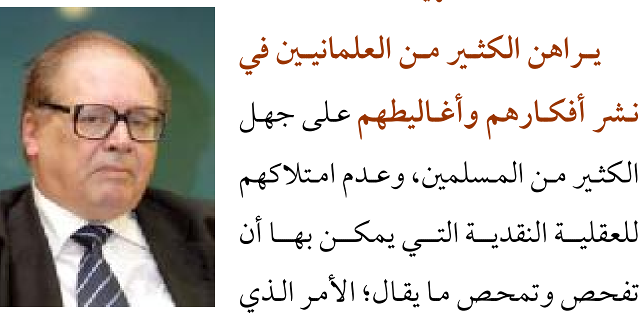
٧ - **دعوة الراغبين للمشاركة في الإعلام بإنشاء شركات إنتاج إعلامية محترفة،** بدلاً من إنشاء قنوات جديدة، فالحاجة لبرامج جادة ومتجددة أهم من قنوات جديدة ليس فيها إلا برنامج رئيسي، وبقية الإسبوع برامج مملة ومكررة!

٨ - **نقترح على الراغبين من المقتدرين بالظهور الإعلامي:** أن يقوم بشراء أوقات بث من بعض القنوات لتقديم ما لديه، وبهذا ندعم القنوات الموجودة من جهة، ونفتح المجال للراغبين لاختبار قدراتهم.

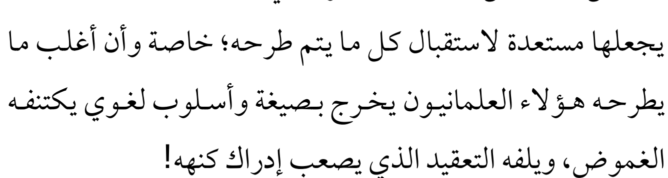
والله الموفق..

أسامة الهتيمي - خاص بـ «الراصد»

تمهيد



يـراهن الكثيـر مـن العلمانيـين في نشر أفكـارهم وأغـاليطهم على جهل الكثير من المسلمين، وعدم امتلاكهم للعقليـة النقديـة التـي يمكـن بهـا أن تفحص وتمحص ما يقال؛ الأمر الذي يجعلها مستعدة لاستقبال كل ما يتم طرحه؛ خاصة وأن أغلب ما يطرحه هؤلاء العلمانيون يخرج بصيغة وأسلوب لغوي يكتنفه الغموض، ويلفه التعقيد الذي يصعب إدراك كنهه!



ولا يمـلُّ هــؤلاء في الحقيقــة مــن تكــرار دعــاواهم وهرطقـاتهم الفكريـة -هذا إن ارتقت إلى أن تكون فكرية-؛ إذ نجدهم في حالة إصرار غريب على ترديد مقولاتهم بالرغم من أنها تعرضت مراراً وتكراراً للتفنيد والكشف عن تهافتها، بما يؤكد تورط هؤلاء في مؤامرة كبيرة ضد الإسلام.

كـذلك فـإن الكثيـر مـن هـؤلاء العلمانيـين يتبنـون أفكـار المستشرقين الغربيين الـذين خـاطبوا بالأسـاس شـعوبهم التـي لا تؤمن بالإسلام، في محاولة منهم لتثبيت أقدامهم على مواقفهم المعادية للإسلام، ولكون هذه الشعوب ليس لديها علاقة تماس مع حضارة الإسلام أو خلفية ثقافية عن الإسلام؛ مما سهل عملية تـشويه الإسـلام لـديها، لكـن هـؤلاء العلمانيـين الـذين يـدعون العقلانية قـاموا بنقل هـذه الأفكـار المسمومة للمسلمين بعـد أن غلفوهـا ووضـعوها تحـت عنـاوين مغريـة؛ كالإصـلاح الـديني، والفكر المستنير، وقيم حرية الرأي والتعبير!!

ويعد الدكتور هشام جعيط -الكاتب والمؤرخ التونسي الأصل الغـربي الهـوى- واحـداً مـن هـؤلاء؛ الذين انطلقوا في كتاباتهم وخاصة ما دار حول السيرة النبوية الشريفة بما يتسق مع المـنهج الاستشراقي الـذي يـستهدف بالأسـاس التأصـيل للـرؤى العلمانيـة التي تـرى أن مـستقبل الأديـان يتجـه إلى اللادينيـة؛ لأن ذلـك لا يتماشـى مـع العلـم والحداثـة، وهـي الرؤيـة التـي يتبناهـا جعيط نفسه؛ إذ يرى أن هذا المستقبل الذي يتسم باللادينية يشمل الإسلام -أيضاً-، غير أن ذلك سيكون بعد مدة زمنية قد تطول أو تقصر، بل إنه يؤكد أن الحركات الإسلامية الموجودة في العالم الإسلامي متأسسة على عمليات سياسية وتأكيد الـذات في هـذا العـالم، ولـيس عـلى دراسـة أيدولوجيـة أو مـا إلى ذلـك مـن هـذا القبيل.

سيرته وإسهاماته:

ولـد هـشام جعيـط بتـونس في الـسادس مـن ديـسمبر عـام ١٩٣٥م، أي زمـن الاحـتلال الفرنـسي للـبلاد، حيـث اسـتقلت تونس عام ١٩٥٦م، وهو ما يعني أن جعيط قضى شبابه الأول في كنف الاحتلال الفرنسي؛ مما سيكون له تداعيات هامة في حياته، حيث كانـت طبيعـة المنـاهج التعليميـة وسـير الحيـاة الثقافيـة تـسير وفقاً لما يريده الفرنسيون الـذين كانـت لهـم الـسيطرة عـلى الـبلاد آنذاك.

وتـشير بعـض المـصادر إلى أن عائلـة جعيـط كانـت كبقيـة الأغلبية من العائلات التونسية آنذاك؛ من حيث الالتزام بالتعاليم الإسلامية في سلوكها وتعاملاتها كأحد أهم ردود الفعل الجمعي

للشعب التونسي ضد الخطط الفرنسية التي كانت ترغب في اقتلاع الشعب التونسي من هويته الدينية والعقائدية.

هذا وقد حصل جعيط على شهادته الثانوية من مدرسة الصادقية التونسية، ثم تابع دراسته الجامعية بالعاصمة الفرنسية «باريس»؛ إذ وفي عام ١٩٦٢ تحصل على الإجازة في التاريخ، ثم حصل سنة ١٩٨١م على شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة باريس أيضاً.

يعمل جعيط في الوقت الحالي أستاذاً شرفيّاً بجامعة تونس، وأستاذاً زائراً بكل من: جامعة ماك غيل - مونتريال، وجامعة باركلاي - كاليفورنيا، وبمعهد فرنسا.

ومن دراساته وأبحاثه:

- الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، عام ١٩٧٤م.
- «أورروبا والإسلام: صدام الثّقافة والحداثة»، عام ١٩٧٨م.
- «الكوفة: نشأة المدينة العربية الإسلامية»، عام ١٩٨٦م.
- «الفتنة: جدليّة الدّين والسّياسة في الإسلام المبكّر»، عام ١٩٨٩م.
- «في السيرة النبوية : ١ - الوحي والقرآن والنّبوّة»، عام ١٩٩٩م.
- «أزمة الثقافة الإسلامية»، عام ٢٠٠١م.
- «في السيرة النبوية: ٢ - تاريخية الدعوة المحمدية»، عام ٢٠٠٦م.

فقدان الثقة في الأمة:

المتتبع لكتابات هشام جعيط يلحظ بوضوح شديد تحبيذه لمنهجية ربما تختلف عن كثير من أنداده ممن يحسبون على العلمانية، من أمثال: محمد شحرور، وبرهان غليون، وحسن حنفي؛ إذ حرص جعيط في أغلب أعماله على تأكيد وجود أزمة داخلية في الثقافة العربية والإسلامية، ففي كتابه الذي عنونه بـ «أزمة الثقافة الإسلامية» يقرر هشام جعيط بوضوح شديد أن الأمة العربية والإسلامية مجرد «عابر سبيل»، وبالتالي فهو يرفض تماماً الحديث عما يمكن أن نسميه «مشروع حضاري عربي»، فمثل هذا الحديث في نظره وهم وكلام فضفاض، كما أن الحديث عن الخصوصية ليس أكثر من «نفاق كبير، وتضليل عظيم».

ويؤكد جعيط في موضع آخر أن الأمة الإسلامية قاحلة فكريّاً؛ فهي «صحراء ثقافية في كل المجالات في التراث، كما في استيعاب الثقافة الغربية في الكتاب، كما في الرسم أو الموسيقى أو المسرح في المعرفة، كما في الأدب، وبما أن جهاز الدولة قتل المجتمع المدني، وأن هذا المجتمع أعطى رقبته للذبح والتذّ بموته؛ فلا أرى الآن خروجاً من المأزق».

والعبارة السابقة كما يتضح تكشف إلى أي مدى يشعر جعيط بحالة فقدان ثقة تامة في الأمة العربية والإسلامية؛ فهي - وبحسب عباراته - لم تنتج ثقافة حقيقية على أي مستوى من المستويات، وبالتالي فإنه لا يرى في الأفق حلًّا لهذه الأزمة.

إلا أن الخروج الذي يقصده جعيط هنا هو: الخروج الذي يرتبط بالداخل الإسلامي، وبالتالي فإنه أعطى لنفسه فرصة أن يطرح خروجاً آخر؛ لكنه هذه المرة يرتبط بالخارج ألا وهو: اتباع الحداثة الغربية؛ فيقول: «لا جدال في أن قيم الحداثة رفيعة، وأن علينا أن نأخذ بها، أي أن نقوم بتحول ثقافي كبير، ولا نقيم أي اعتبار لأصلها الجغرافي، بل فقط لوجه الخير فيها».

ثم يحاول جعيط أن يخفف عن القارئ وقع الصدمة؛ فيسعى إلى إطلاق الحديث عن مفهوم الحداثة انطلاقاً من المجرد الجغرافي؛ فيقول: «ليست هناك حداثة غربية، وحداثة إسلامية، وأخرى صينية، وأخرى هندية، أو إفريقية؛ فهي واحدة في جميع أبعادها.

أن يجري الكلام على الخصوصيات لدحض قيم الحداثة؛ فهذا نفاق كبير، وتضليل عظيم».

غير أن حقيقة موقف جعيط تتكشف بعد ذلك عندما

يوضح أن الحداثة التي يريدها لا بد أن تكون منقطعة الصلة مع التراث لأية أمة، بل مع هويتها الدينية ذاتها؛ فيقول: «الحداثة الجديدة تقطع مع كل دين»؛ وبالتالي فشرط الدخول لهذه الحداثة -بحسب جعيط- هو: تخلي المرء عن ثقافته وخصوصيته وهويته.

ويعجب المرء كيف يكون الرد على هذه الطروحات الشاذة؛ خاصة وأنها صادرة عن رجل يفترض أنه متخصص في التاريخ الإسلامي؟! هذا التاريخ الذي يحمل بين صفحاته الكثير من الدلائل التي تشير إلى القيم الحضارية التي حملها الإسلام للبشرية؛ والتي كان سباقاً في طرحها وتنفيذها على أرض الواقع حتى أضحت الكثير من هذه القيم الحضارية الإسلامية نبراساً تسير الأمم والشعوب على هديه ونوره.

فنماذج التعايش بين المسلمين وغير المسلمين والعرب وغير العرب في إطار الدولة الإسلامية إشارة قوية إلى مدى قدرة الإسلام على احترام التعدد الثقافي والعرقي؛ الذي يحافظ على الخصوصيات الثقافية للعديد من الشعوب والأعراق المختلفة؛ الأمر الذي أصبح مفتقداً في العديد من المدنيات الحديثة بما فيها تلك الدول التي تصف نفسها بأنها أقدم الديمقراطيات في العالم، ولعل ما حدث مؤخراً في فرنسا وبريطانيا وهولندا والدنمارك نماذج واقعية وحية على ذلك.

والحضارة الإسلامية هي التي رفعت من قدر المرأة، وجعلتها نفساً بشرية تتساوى مع نفس الذكر، متجاوزة بذلك الرؤية الوضيعة التي كانت تحتلها المرأة وفقاً للحضارات والأديان السابقة؛ بما فيها النصرانية واليهودية، فكان للمرأة تبعاً للتعاليم الإسلامية حق في الميراث وذمة مالية خاصة، وحق في التعليم، وحق في اختيار الزوج، وغير ذلك من الحقوق التي حرمت منها، وهو الموقف الذي بنت عليه المواثيق والمعاهدات الدولية الخاصة بالمرأة بنيانها؛ وإن شردت هذه المواثيق فيما بعد، وذلك عندما خضعت في بعض بنودها لأهواء ورغبات خاصة كانت وبالاً على المرأة الغربية.

والقيم الحضارية الإسلامية هي التي منحت الكثير من مفكري الأمة ومثقفيها لأن يسهموا إسهامات رائعة في الحضارة والعلم، ظلت حتى الآن المرجعية الأساسية للكثير من العلماء والمفكرين الغربيين؛ الذين لم تتجاوز إسهاماتهم حد إعادة صياغة مقولات العلماء والمفكرين العرب والمسلمين، ومن بينهم: ابن خلدون، وابن رشد، والغزالي، وابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم.

جرثومة التركيب الجيني:

لا يقتصر فقدان جعيط للثقة بالأمة الإسلامية على مجرد كون الأمة تعيش أزمة ثقافية فحسب، بل إنه ينتقل إلى وصف عناصر الأمة بالعجز عن المشاركة في الفعل الحداثي؛ فيقول: «فنحن عاجزون عن المشاركة في ابداع التكنولوجيا»، كما أننا « عاجزون -أيضاً- عن تبني قيم الحداثة والديمقراطية»، والسبب -كما يرى جعيط- هو: الشخصية الإسلامية ذاتها؛ فيقول «نحن أقدر على المجابهة منا على الابداع، وعلى البحث عن السعادة والدعة»، ويقول: «المسألة في الحقيقة لها عروق فلسفية وثقافية»؛ بما يعني أن المسلم من حيث كونه مسلماً غير قادر على الإبداع أو المشاركة في إنتاج التكنولوجيا المتقدمة.

وهنا لا أعرف كيف يمكن في نظر جعيط أن يتحول المسلمون إلى مبدعين أو مشاركين في إنتاج التكنولوجيا الحديثة؟! فالأمر هنا ليس مجرد مسايرة لركب الحداثة؛ إذ الأمر يتعلق بالتركيب البيولوجي للشخصية المسلمة الذي لا نعرف كيف يمكنها أن تتعامل مع ما جبلت عليه من التخلف بحسب جعيط؟!

والحقيقة أن جعيط بطروحاته هذه مصر على تجاهل حقائق التاريخ التي تؤكد موقفين أساسيين للإسلام من العلم:

أحدهما: ذلك الموقف النظري الإيجابي من العلم والبحث والتأمل؛ حيث تضافرت الكثير من آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على أهمية العلم، وفضل العلماء، والدعوة للتدبر في خلق الله، والكشف عن قوانين الكون.

وثانيهما: الموقف العملي المشرف للمسلمين تجاه العلم والبحث؛ والذي جاء استجابة للموقف النظري، وهي الاستجابة التي وصلت إلى درجة جعلت من المسلمين رواداً حقيقيين في الكثير من مجالات البحث العلمي الدقيق؛ كالطب والهندسة والجغرافيا والفلك والكيمياء والرياضيات..وغيرها من العلوم التطبيقية؛ فضلاً عن العلوم النظرية.

والغريب أن من يطالبنا جعيط باقتفاء أثرهم! هم أنفسهم أول من بادروا بالاعتراف بفضل العرب والمسلمين في هذه المجالات العلمية؛ حيث أكدت الكثير من الدراسات أن علماء المسلمين كانوا سباقين في اختراع العديد من الأدوات والآلات التي لولا أن اكتشفها العرب والسلمين لمكث العالم قروناً أخرى في محاولة التوصل إلى اختراعها.

جعيط والسيرة النبوية:

بشكل قاطع يحدد هشام جعيط هدفه من الكتابة في السيرة النبوية في مقدمة الجزء الأول من كتابيه اللذين خصصهما في هذا الشأن، وهو كتابه «الوحي والقرآن والنبوّة»؛ فيقول جعيط: « بأنه يرغب في إعادة كتابة السيرة النبوية بطريقة علمية مغايرة لكل السّير التي كُتبت قديماً أو حديثاً».

ويضيف: « هذا الكتاب وما سيتبعه علمي وليس بالدراسة الفلسفية، ويَعتبر بالتالي كمعطي ما هو لب الدين الإسلامي: الوحي، الإيمان، البعث، وسواء كان المؤرّخ -المسلم وغير المسلم- مؤمناً أو خارجاً عن الإيمان فمنهجه الصحيح هو هذا، أي اعتبار المعطى كمعطى، ومحاولة تحليله لا أكثر».

ويتابع: «وقد حاولنا في هذا الكتاب الاعتماد على المعرفة، واستنباط منهج عقلاني - تفهّمي؛ لم نجده لا عند المسلمين القدامى من أهل السير والتاريخ والحديث، ولا عند المسلمين المعاصرين، وأكثر من ذلك إن المستشرقين على سعة اطّلاعهم لم يأتوا ببحث يذكر في هذا الميدان، وتبقى دراساتهم هزيلة مقارنة بفحول الفكر والتاريخ في الغرب...

وعلى كل فالتعريف -بوجه المقارنة- بالحضارات والأديان الأخرى إنما أرجو منه خروج العرب والمسلمين من تقوقعهم وضيق أفقهم الفكري!».

وكان جعيط وخلال لقاء ثقافي بتونس خصص لعرض أحد دراساته حول السيرة؛ قد أكد أن ما كتب عن حياة الرسول الكريم في القديم، مثل: «سيرة» ابن إسحاق، أو ابن هشام، أو غيرهما: «لا تعطي إجابات علمية دقيقة؛ نظراً لتأخر تدوين هذه السير، ولغلبة النزعة الوعظية عليها، كما أن أغلب الكتابات الحديثة لا يرقى حتى إلى ما كتبه القدامى من حيث القيمة العلمية».

وكلمات جعيط تشي بأنه سيأتي فيما يخص السيرة النبوية بما لم يأت به الأوائل، إن لم يكن على مستوى المعلومة فسيكون على مستوى التحليل والنتائج! وهو الأمر الذي لم تتضمنه أو تحققه دراسات جعيط في السيرة النبوية في الواقع؛ حيث خرجت هذه الدراسات تكراراً للكثير من مقولات المستشرقين حول النبي محمد ﷺ، كما أكد الدكتور سامي براهم الذي قال: «ولا نجد فيما ورد في كتاب الدكتور جعيط خروجاً عن هذا السياق النظري والمفهومي والمنهجي لما جاء في بحوث المستشرق الألماني تيودور نولدكه (١٨٣٦/ ١٩٣٠م)».

ففي الجزء الثاني حول السيرة وهو كتاب «تاريخية الدعوة المحمدية»؛ الذي أكد أنه تضمن الجديد الذي يدفعه لنشره؛ لا يتردد جعيط في أن يردد أن بعض العبارات والآيات

زيدت في النص القرآني عند تدوينه، ويورد على ذلك مثلاً، وهو: قوله @: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[الشورى:٣٨]؛ إذ يرى جعيط أن هذه الآية لا تنسجم مع نسق الآية التي وضعت فيها، إضافة إلى أن «أمرهم» أي: حكم المسلمين لأنفسهم في زمن النبي عن طريق الشورى غير مقبول، «فاعتماد مبدأ الشورى يكون مقبولاً بعد النبي؛ أما في حياته فلا؛ لأنه هو ولي الأمر حينها»، كما استغرب الكاتب أن يرد الخطاب بصيغة الغائب في حين أن الرسول كان بينهم.

أيضاً يرى أن محمداً ﷺ ولد في حدود سنة ٥٨٠م، وليس ٥٧٠، ولأن سن الأربعين سن الشيخوخة لذلك فهو يستغرب كيف يقرر القرآن أنها -أي الأربعين- هي السن التي يبلغ فيها الإنسان أشده! ويخلص في هذه المسألة بالقول: «رأيي أن محمداً بعث في الثلاثين، أو حتى قبل ذلك، ولم يولد إلا حوالي سنة ٥٨٠ ميلاديّاً، ولم يعش إلا خمسين سنة».

أما عن اسمه -محمد ﷺ-؛ فقال جعيط أنه لم يكن محمداً منذ الولادة، مستشهداً في ذلك بأن القرآن لم يسمه باسم محمد إلا في السور المدنية ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[آل عمران:١٤٤)، وعد الكاتب أن اسم محمد هو واحد من التأثيرات المسيحية، وأنه نقل إلى العربية عن السريانية، وأنه يعني في تلك اللغة: «الأشهر والأمجد»، وأن صيغتها الأولى كانت «محمدان».

أما الاسم الحقيقي للرسول -محمد ﷺ-؛ فهو: «قثم»، وسمي بهذا الاسم لأن أحد أبناء عبد المطلب كان اسمه «قثم»، ومات على صغرٍ؛ فسمي النبي على اسم عمه المفقود.

ويضيف جعيط: والد النبي ﷺ توفي بعد ولادته، وأن زواجه من خديجة رضي الله عنها كان في سن ٢٣، وأن عمرها حين تزوجها النبي كان ٢٨ سنة.

والأسوأ أن جعيط يشير إلى أن خروج محمد ﷺ للتجارة في اليمن والشام فتح له المجال واسعاً للاطلاع بدقة على التراثين المسيحي واليهودي، وهو ما تعكسه التوافقات الكبيرة بين الكتاب المقدس بعهديه والكتب المنحولة، وبين القرآن، وأن «كل ما قيل عن ثقافة محمد ﷺ القائمة على السماع أو بالاطلاع المتدرج غير صحيحة.

كما نفى قصة تشجيع ورقة ابن نوفل للنبي -محمد ﷺ-؛ لأن «ما قاله ورقة لا معنى له!»، بل يعد قصة ورقة ابتدعت لإضفاء صبغة الحقيقة لما أتى به النبي في الأول!!

وأشار إلى أن الرسول ﷺ لا بد أن يكون قد تلقى بعض التأثيرات المسيحية؛ حتى قبل أن يبدأ رحلاته للشام حيث تعمقت تلك المعارف، وما ساعده على ذلك هو أنه كان يعرف السريانية، وهو ما ينفي فكرة أن النبي كان أميّاً.

والحقيقة إن المرء ليعجب مرة أخرى أن يصدر مثل هذا الكلام عن حامل للدكتوراة في التاريخ الإسلامي!! كيف يقوله وهو الذي من المفترض أن يكون ملمّاً بشكل جيد بأدوات البحث العلمي التي يجب أن يتبعها الباحث؟!

لكن وعلى أية حال؛ فإن من باب الأمانة العلمية أن نفند بعضاً مما جاء في كتابات جعيط، ومنها: حديثه عن الأثر المسيحي في القرآن الكريم، وهو ما كان قد ردده نولدكه من قبل؛ إذ قال في مؤلفه الضخم «تاريخ القرآن» (١٨٦٠م): «الإسلام في جوهره دين يقتفي آثار المسيحية، أو بعبارة أخرى: أن الإسلام هو الصيغة التي دخلت بها المسيحية إلى بلاد العرب كلها».

ويرتبط بالرد على هذه القضية ما أثاره جعيط -أيضاً- من أن النبي محمداً ﷺ لم يكن أميّاً، وأنه كان ملمّاً باللغة السريانية، وهي معلومات أقل ما توصف بأنها تتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم نفسه الذي وصف الرسول بأنه النبي الأمي، يقول @: ﴿فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ﴾[الأعراف:١٥٨]، كما أنها تتعارض مع المنطق الإسلامي من كون الرسول ﷺ لم يطلع على كتابات

تتعلق بالحضارات الأخرى؛ انطلاقاً من حكمة إلهية.

والأمر عند جعيط لم يقتصر على مجرد أن يلم النبي الكريم بالقراءة والكتابة باللغة العربية بل وصل إلى حد أنه كان ﷺ ملمّاً باللغة السريانية، وهي معلومات لا نعلم من أين أتى بها جعيط؟!!

وفيما يخص بعث الرسول في الأربعين يبدو أن جعيط لم يفهم المعنى من الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[الأحقاف: ١٥]، وظن أن (أشده) هنا تعني: القوة البدنية، بالرغم من أن المعنى يقصد به: النضج الفكري الكامل؛ وبالتالي ليس ثمة استبعاد لبدء دعوة النبي في هذا السن.

يبدو من هذا الاستعراض السابق أن الهدف لدى جعيط: ليس الكتابة حول السيرة في ذاتها؛ فالأمر ليس إلا محاولة لزعزعة بعض المسلمات والثوابت؛ حتى وإن لم تكن ذات علاقة مباشرة بالفكرة الرئيسة التي يحاول جعيط الوصول بها؛ إذ أن ذلك ربما يكون مدخلاً لما هو أهم.

طائفة القاديانية نشأتها وعقائدها

د. سامي عطا حسن – جامعة آل البيت، الأردن

تمهيد

تنتسب القاديانية للميرزا غلام أحمد القادياني، المولود في قاديان عام ١٨٣٥م، وكانت أسرته على جانب كبير من الغنى؛ إذ كان جده صاحب قرى وأملاك، وصاحب إمارة في البنجاب، خسرها جده (الميرزا عطا محمد) في حرب دارت بينه وبين (السيخ) ؛ الذين صادروا أملاكه، وطردوه وأسرته من بلدهم (قاديان)، ثم أذن لهم الإنجليز بالرجوع إليها عام ١٨١٨م، لقاء خدمات عسكرية قدمها لهم والده، وأعادوا إليهم بعض تلك القرى.

وكان الإنجليز يطمعون في تكوين إمبراطورية لهم لتشغل الفراغ الممتد فيهما بين مصر والهند، كما كانوا يريدون استقرار وضعهم في الهند -درة التاج البريطاني-، وهذه المناطق يشغلها المسلمون، وعداوة المسلمين لهم تاريخية، جغرافية، نفسية.

وتلك أصعب العداوات وأعمقها وأعصاها على التوفيق والنسيان، فقد جاء أسلافهم الصليبيون إلى ديار المسلمين، واستولوا على بلاد الشام، وهزموا المسلمين شر هزيمة، وارتكبوا أبشع المجازر، وكانوا أول من ابتدع إجلاء المسلمين عن ديارهم، وساروا على ذلك -أيضاً- في جميع حروبهم مع المسلمين.

وكانوا يظنون أن الأمر قد استتب لهم، وأنه لن تقوم للمسلمين قائمة؛ ولكن المسلمين ظلوا مصممين على إخراجهم من ديارهم، فدينهم يفرض عليهم ذلك، وبالرغم من مُكوثهم مدة تقارب القرنين من الزمان أقاموا خلالها ممالك وإمارات في بلاد الشام؛ إلا أن المسلمين استطاعوا في النهاية أن يتغلبوا عليهم ويطردوهم من ديارهم شر طردة!

وقد بحثوا عن السر في ذلك؛ فوجدوه في الإسلام، وأن عقيدته هي منشأ هذه القوة العظيمة في المسلمين، ولو كان المسلمون قوة سياسية ليس إلّا لهان خطبهم على الاستعمار بجميع أنواعه، ولكنهم قوة روحية تندفع كالسيل إذا اندفعت.. وتستقر كالصخر إذا سكنت.. وتفارقها قدرتها على الغلبة والسيادة حيناً، ولكن لا تفارقها قدرتها على الصمود والثبات؛ لذلك لا بد من تفتيت هذه القوة، وهذا ما أجمعت عليه القوى الاستعمارية.

والسبب الذي جعل المستعمرين الانجليز يفكرون في إيجاد القاديانية، والروس في إيجاد البابية، ثم البهائية؛ يتلخص في أن الاستعمار البريطاني عندما بدأ يركز احتلاله المستبد في شبه القارة الهندية -والتي استظلت براية الحكم الإسلامي بضعة قرون- جُوبِهَ بمعارضة عنيفة من حركات

الجهاد، واستطاع الإنجليز أن يقضوا عليها وعلى الثائرين بكل عنف وقسوة، وتمكن المستعمر من تثبيت أقدامه، وأقام نظاماً لحكم البلاد يعتمد على مئات من الخبراء يؤازرهم جيش صغير، وعلى اصطفاء عناصر تدين لهم بالولاء السياسي والفكري.

وجعل المستعمر نصب عينه هدف القضاء على كل أثارةٍ من حمية الجهاد في قلوب المسلمين، فاستقدموا طوائف المبشرين، وملأوا بهم أرجاء الهند، يسرقون عقائد الناس، ويزلزلون نفوسهم بالشكوك والريب، وكانت معارك حامية تلظى المسلمون بنارها في المجال الفكري، وكان رد المسلمين على ذلك أن أصبحت صيحة الجهاد ضد الإنجليز على كل لسان، وشغل كل عالم، وأصبحت المنشورات تكتب وتوزع، والعلماء من الناس وغيرهم يطوفون المدن والقرى لهذا الغرض.

وهكذا أصبحت عقيدة الجهاد عقبةً كأداء في وجه المطامع الاستعمارية في الهند وغيرها من بلدان العالم الإسلامي.

وكانت روسيا قد فعلت نفس الشيء في فارس؛ إذ بدأ التدخل الروسي في الهضبة الإيرانية في عهد بطرس الأكبر، وكانت بلاد فارس -آنذاك- تكابد فتناً وانقسامات داخلية، ومطامع الروس في إيران وغيرها بدأت منذ عهد (بطرس الأكبر)؛ الذي طمع بعد مقتل (نادر شاه) في وراثة إمبراطوريته إلا أنه أخفق في ذلك، لكنه لم ينس قبل موته أن يضع لمن بعده خطة استعمارية ليسيروا عليها.

والذي دفع المستعمرين لإيجاد هذه الفرق البابية والبهائية والقاديانية: يقينهم التام بأنهم لن يستطيعوا حكم بلاد يؤمن أهلها بالجهاد، ويعتبرونه ركناً سادساً من أركان الإسلام، ففكروا بصورة جدية في رسم المخططات للقضاء على هذه العقيدة؛ من خلال رجال ربوهم على أعينهم، وأرضعوهم لبان حبهم!

فكانوا عند حسن ظن سادتهم بهم، فها هو الغلام القادياني يقول في كتابه «ترياق القلوب» ما نصه: «لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة، وقد نشرت معظم هذه الكتب في البلاد العربية: مصر والشام وتركيا، وكان هدفي هو: أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة».

وقال في رسالة أخرى: «لقد ظللت منذ حداثة سني -وقد ناهزت الآن على الستين- أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية، والنصح لها، والعطف عليها، وأُلغي فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم، والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة».

كذلك فعل الباب والبهاء من بعده؛ إذ قال البهاء (حسين علي المازنداني) زعيم البهائية ما نصه: «البشارة الأولى التي منحت في هذا الظهور الأعظم لجميع أهل العلم: محَوُ حكم الجهاد من الكتاب».

توطين اليهود لهذه الفرق الضالة في فلسطين:

تلقف اليهود كلتا الحركتين: القاديانية والبهائية، وربطوها روحيّاً بفلسطين المحتلة منذ أن نشطوا لتأسيس وطن قومي لهم في فلسطين، منذ القرن التاسع عشر تقريباً، فاحتضنوا أمثال هذه الحركات: البابية، والبهائية، والقاديانية؛ لتدعوا إلى إبطال ونسخ الجهاد عند المسلمين، وبلبلة عقائدهم، فشجّعوا البهائية، واحتضنوا طاغيتها عباس عبد البهاء، وجعلوا مدينة عكا في فلسطين المحتلة كعبة للبهائيين المبثوثين في بقاع شتى، وربطوهم بفلسطين المحتلة روحيّاً.

بيد أن اليهود لم يكتفوا بالبهائية؛ فلا بد من استقدام القاديانية إلى فلسطين كي تشارك في صُنع الشتات العربي الإسلامي، وتمهد للوجود اليهودي؛ فقدم الخليفة الأحمدي الثاني بشير الدين محمود أحمد ابن مؤسس الجماعة عام ١٩٢٤م إلى فلسطين، وحضر معه المبشر الأحمدي جلال الدين شمس.

وفي مدينة حيفا بشّر بدعوة المهدي زمناً، حتى تسنى له الاتصال بأهل قرية الكبابير على قمة جبل الكرمل؛ فأسس مركزاً للجماعة، وأقام مركزاً تبشيريّاً عام ١٩٢٩م.

وعاد جلال الدين شمس إلى قاديان عام ١٩٣١م، وقد تبع ذلك بناء أول مسجد للجماعة هناك سنة ١٩٣٤، ثم أضيف إليه (دار التبليغ)، بعدها وصل الى فلسطين أبو العطاء الجلندهري؛ حيث مكث حتى العام ١٩٣٦ في الكبابير، وهو الذي أكمل بناء مسجد (سيدنا محمود) فيها، وأسس مجلة «البشارة» التي تحولت إلى «البشرى» حاليّاً، وهي المجلة الأحمدية القاديانية الوحيدة في الديار العربية، والتي لا تزال تصدر في فلسطين المحتلة إلى وقتنا الحاضر، ثم أعادوا بناء المسجد الذي يعرف بمسجد (سيدنا محمود) عام١٩٧٩م.

وتضم قرية الكبابير قرابة الـ ٣٠٠٠ نسمة معظم سكانها من أتباع القاديانية الأحمدية.

ولم يكن هؤلاء فقط هم الذين حاولوا نشر مبادىء الجماعة بين العرب؛ فهناك محمد سليم الهندي؛ الذي خدم الجماعة في فلسطين من العام ١٩٣٦ حتى ١٩٣٨، وترأس تحرير مجلة «البشرى»، ثم شودري محمد شريف؛ والذي بقي زهاء ١٨ عاماً في البلاد العربية، كذلك جلال الدين قمر؛ الذي حضر للبلاد العربية عام ١٩٥٤ وعمل رئيساً لتحرير «البشرى»، ومديراً للمدرسة الأحمدية في حيفا، وفضل إلهي بشير؛ الذي حضر أواخر السبعينات للمنطقة، وألف كتباً بالعربية تطرق فيها إلى المسائل الخلافية، وغلام أحمد؛ الذي وصل إلى عدن، وأسس بها الجماعة الأحمدية عام ١٩٤٩م، وغيرهم.

مما يبين بجلاء اهتمام الجماعة الأحمدية بالانتشار في العالم العربي، والانطلاق نحو هذا العالم عبر فلسطين، ورغم تمحورها في الكبابير بحيفا في فلسطين المحتلة؛ إلا أن هناك انتشاراً محدوداً لها في الضفة وغزة.

لكن هل ستمنع فتوى مفتي محافظة نابلس الشيخ أحمد شوباش الأحمدية من الانتشار في فلسطين؟ أم ستكون فلسطين جسراً لعبور الأحمدية إلى العالم العربي؟ هذا في علم الغيب؛ وسيجيب عليه الزمن والتاريخ!

نشأة طائفة القاديانية:

ذكرنا -فيما سبق- أن القاديانية تنتسب للميرزا غلام أحمد القادياني، وهو من أسرة تنتمي إلى السلالة المغولية من الأتراك؛ إلا أنّ الغلام عدَل عن هذه النسبة إلى المغول، وزعم أنه ينتمي إلى الفرس من جهة والده، وإلى أبناء فاطمة الزهراء من جهة بعض أمهاته.

يقول الميرزا في ذلك: «قرأت في كتب سوانح[1] أبائي، وسمعت من أبي: أنّ آبائي كانوا من الجرثومة المغولية، ولكنّ الله أوحى إليّ أنهم كانوا من بني فارس، لا من الأقوام التركية، ومع ذلك أخبرني ربي بأنّ بعض أمّهاتي كنّ من بني الفاطمة، ومن أهل بيت النبوة، والله جمع فيهم نسل إسحاق وإسماعيل؛ من كمال الحكمة والمصلحة»[2].

وكانت أسرته على جانب كبير من الغنى؛ إذ كان جده (الميرزا كل محمد) صاحب قرى وأملاك، وصاحب إمارة في البنجاب، خسرها جده (الميرزا عطا محمد) في حرب دارت بينه وبين (السيخ)؛ الذين صادروا أملاكه، وطردوه وأسرته من بلدهم (قاديان)، ثم أذن لهم الإنجليز بالرجوع إليها عام ١٨١٨م، لقاء خدمات عسكرية قدمها لهم والده، وأعادوا إليهم بعض هذه القرى[3].

---

(١) السانحة: من سنح له رأي في شيء، أي: ظهر له، وأصل السانحة: الطائر يمر من يمين الإنسان يتفاءل به. ابن منظور، «لسان العرب»، دار صادر، بيروت، ط١ (ج٢ ص٤٩٠).

(٢) ميرزا غلام أحمد، «الاستفتاء» (ص٨٥).

(٣) عبد الظاهر، «القاديانيّة-نشأتها وتطورها» (ص٤١).

ويذكر الميرزا غلام أحمد ذلك؛ فيقول: «ففي تلك الأيام صُبّت على أبي المصائب من أيدي ملوك اللئام؛ حتى أُخرِجوا من مقام الرياسة، ونُهبت أموالهم من أيدي الكفرة... -إلى أن يقول-: ثـم ردّ الله إلى أبي بعـض القـرى في عهـد الدولـة البريطانيـة؛ فوجدوا قطرة أو أقل منها في بحر الأملاك الفانية»[1].

زواجه وذريته:

تـزوّج الميـرزا غـلام أحمـد زواجه الأول عـام ١٨٥٢م أو ١٨٥٣م من إحدى بنات أقربائه، وأنجب من هذه الزوجة ولدين، هما: الميرزا سلطان أحمد، و الميرزا فضل أحمد، ثـم طلّق هذه الزوجة عام ١٨٩١م، وتزوج زوجة أخرى، يلقبها القاديانيّون: (أمّ المؤمنين)! وأنجب منها سائر أولاده، وهـم: خليفته الميرزا بشير الدين محمود، والميرزا بشير أحمد، والميرزا شريف أحمد[2].

وفاته:

تـوفي الميـرزا غـلام أحمد القادياني في مدينة لاهـور، في الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ٢٦/أيار/١٩٠٨م (من مَلَكِ الموت إلى مالك) بعد أن أصيب بمرض الكوليرا، ونقلت جثته إلى قاديان؛ حيث دفن فيها[3].

تطور القاديانيّة:

يكاد يُجمع الذين كتبوا في القاديانيّة وتاريخها وتطورها: أنّ دعوة الميرزا غلام أحمد قد مرّت بمراحل ثلاث هي:

المرحلــة الأولى: مرحلـة الـدعوة إلى الإسـلام، وجـدال الخصوم، ودعوى التجديد:

استمرّت هذه المرحلة بين عام ١٨٧٩م وعام ١٨٩١م[4]، وفي هذه المرحلة ادّعى الميرزا أنّه مُصلح ومجدّد... وأنّه مأمور من الله لإصلاح العالم، والدعوة إلى الإسلام.

وكـان نـشاطه في هـذه المرحلة يأخذ أشكالاً ثلاثة هـي: المناظرة.. وتجميع الأتباع.. والكتابة[5].

المرحلة الثانية: مرحلة ادعاء أنه المسيح الموعود:

وقدْ ابتـدأت هـذه المرحلـة سـنة ١٨٩١م، «حيث أعلـن أن الله @ قـدْ أرسـله مـسيحاً موعـوداً، ومهـديّاً معهـوداً، طِبـقَ أنبـاء القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، وأنّه المُصلح الذي تنتظره جميع الأقوام والأمم منذ ثلاثة عشر قرناً»[6].

المرحلة الثالثة: ادعاء النبوة:

ربما تكون هذه المرحلة هي التي أدّت إلى ظهور القاديانيّة، وانتـشار أمرهـا في العـالم، ونـسبة ادعـاء النبـوّة إلى المـيرزا غـلام أحمـد ثابتة بمعـانٍ مختلفـة، وإن حـاول بعـض القاديـانيّين التنصل منه، وإنْ كان الجميع من القاديانيّين مجمعٌ على أن الميرزا مأمور من الله بإصلاح هذه الأمة، ومؤيّد بالوحي؛ حيث قال: «وما جئت من نفسي بل أرسلني ربي لأمون[7]الإسلام وأرعى شؤونه»[8].

وقـال: «وكلّمنـي بكلـمات نـذكر شـيئاً منهـا في هـذا المقـام، ونؤمن بها كما نؤمن بكتب الله خالق الأنـام»[9]، فقد كمُلَ ادِّعاء النبوّة لأن حقيقة النبوّة هي: «تحمُّلُ إنسان لما يتحمله عن الله إلى الخلق من غير واسطة بشر»[10].

وهكذا كان تطور القاديانيّة في عهد مؤسسها من الدعوة

(١) ميرزا غلام أحمد، «الاستفتاء» (ص٨٦).
(٢) ميرزا غلام أحمد، «الاستفتاء» (ص٤٤).
(٣) السامرائي، «القاديانيّة والاستعمار الإنجليزي» (ص٢٠)، وانظر: عبد الظاهر، «القاديانيّة-نشأتها وتطورها».
(٤) عبد الظاهر، «القاديانيّة- نشأتها و تطورها» (ص٦١)، وانظر: نذير أحمد، «القول الصريح»، تقديم الكتاب.
(٥) المرجع السابق، (ص٥٣).
(٦) نذير أحمد، «القول الصريح في ظهور المهدي و المسيح»، مقدمة الكتاب.
(٧) مان الرجل: أهله إذا انفق عليهم وكفاهم مؤونتهم، ابن منظور، «لسان العرب» (ج١٣ ص٤٢٥)، و يبدو أنه يقصد: رعاية الإسلام وحمايته.
(٨) ميرزا غلام أحمد، «تذكرة الشهادتين» (٨٩).
(٩) ميرزا غلام أحمد، «الاستفتاء» (ص٨٦).
(١٠) إبراهيم المؤيدي، «الإصباح على المصباح في معرفة الملك الفتاح»، تحقيق عبد الرحمن شايم، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٢م، (ص١١).

إلى الإسلام إلى ادعاء النبوة.

القاديانية بعد غلام أحمد القادياني:

بُويع للحكيم نور الدين بالخلافة بعد وفاة الميرزا غلام أحمد، وادّعى أنّه خليفة الله في الأرض، ونائب المسيحِ الموعودِ، ورسولِ الله (أي الغلام)..

وأقسم أن الميرزا أوصى له بالخلافة؛ فقال: «أنا أقسم بالله العظيم، أنه هو الذي جعلني خليفته، فمن يستطع أن يسلب مني رداء هذه الخلافة، فلله، مصالحه ومشيئته، أراد أن يجعلني إمامكم وخليفتكم...»، فبايعه القاديانيّون خليفة لنبيهم؛ لأجل روابطه المتينة مع أسرة غلام أحمد، ولما عرفوا من احترام الميرزا له[1].

وكان الحكيم نور الدين يتردد في تكفير من لا يؤمن بالميرزا، ثم جزم بتكفيره، وثار حول شرعية خلافته نقاش؛ ولكنه لم يعتزل، وبقي في خلافته بعد الميرزا ست سنوات[2].

وقد ظلت القاديانيّة محتفظة بوحدتها المذهبية أثناء خلافته؛ وإن كان دبّ إلى صفوفها شيء من الاختلاف؛ إلا أنها لم تنقسم إلا بعد وفاته[3].

فانقسمت القاديانيّة -بعد وفاة الحكيم نور الدين سنة ١٩١٣م- إلى شعبتين، أو فرعين:

الأولى تسمى: الجماعة اللاهورية، بزعامة محمد علي اللاهوري.

والأخرى تسمى: الجماعة القاديانيّة، بزعامة الميرزا بشير الدين محمود- ابن الغلام أحمد-[4].

والفرعان يتسميان باسم (الجماعة الأحمدية)، ولا فرق يذكر بينهما، فكلتا الفرقتين تعتبران إلهام ووحي الميرزا -المدّعى به- حجّةً شرعيّة يجب اتباعها، ويصدّقون بكل ما جاء به الميرزا من هذا القبيل.

وكذلك فإنّ الجماعة اللاهورية؛ وإنْ كانت تُصرّح بأنّها لا ترى الميرزا نبيّاً بل مجدداً؛ إلا أنّها تعني من لفظ (المجدد) عين ما تقصد به جماعة بشير الدين محمود من لفظ (النبي)[5].

وهمْ مع ذلك -أيْ جماعة محمد علي- ظلّوا في الباطن على ما كان عليه الميرزا من ادعاء النبوّة؛ وذلك لخداع الناس، وتمرير أفكار الميرزا، فإنّ كثيراً من الناس الذين ليس لهم دراية ولا إطلاع على حقيقة هذه الفرقة، إذا سمعوا مقالة أصحاب هذه الشعبة في الميرزا، ثم سمعوا مناقبه وأوصافه التي اختلقوها له؛ يعتقدون صلاحه، ومن ثم يقتنعون بأفكاره[6].

شذرات من عقائد القاديانية وشرائعها:

نشر الأستاذ الفاضل أبو المكارم محمد عبد السلام -المدرس بالكلية العربية في بلدة كرنول في أعمال مِدارس بالهند- نتفاً من عقائد هذه الطائفة ومفترياتها في مجلة «الصراط المستقيم الغراء»، مُستلّة من كتب الغلام القادياني، جاء فيها:

عقيدته في الله @: «إن الله ذو طول وعرض، وله أرجل

---

(١) ظهير، «القاديانيّة-دراسات وتحليل» (ص٢٣٩-٢٤٠)، والنص الذي نقله من إعلان نور الدين في مجلة «ريويو آف ريليجنز» ج١٤، نمرة٦ (ص٢٣٤).

(٢) عبد الظاهر، «القاديانيّة- نشأتها وتطورها» (ص١٥٨-١٥٩).

(٣) المرجع السابق، (ص١٥٥).

(٤) اللاهوري، «البيان في الرجوع إلى القرآن» (ص١)، وانظر: أيوب مضلي وخليل يونس، «الأحمدية كما عرفنا» (ص٥-٦)، والندوي، «القادياني والقاديانيّة» (ص١٤٨-١٤٩)، وعبد الظاهر، «القاديانيّة- نشأتها وتطورها» (ص١٥٩).

(٥) البنوري، «موقف الأمة الإسلامية من القاديانيّة» (ص٥٥٤).

(٦) حبيب الرحمن الديوبندي، مقالة بدون عنوان، في المتنبئ القادياني، نبذة من أحواله وأكاذيبه، المفتي محمود، مكتبة أشيق، إسطامبول، ١٩٧٩م، (ص٢٦) بتصرف.

وأيد؛ ولا تحُصى، وأيضاً له أعصاب وأوتار كالسلك البرقي ممتد في الجهات»[١]، و(إن الله بعد أن كشف لي الغطاء كان يمازحني مراراً»[٢].

عقيدته في الأنبياء عامة: «أعطي كل الأنبياء حياة بمجيئي، وكل واحد من الرسل مستور تحت قميصي»[٣].

عقيدته في القرآن الكريم: «إن القرآن إن كان رُفع إلى السماء؛ فأتيت به ثانياً من السماء إلى الأرض»[٤]، وقال: «القرآن كلمات الله، وكلمات لساني»[٥].

عقيدته في الأحاديث النبوية: «الأحاديث التي تخالف إلهامي تستحق أن نلقيها مع الأوراق الرديئة في سلة المهملات»[٦]، وقال: «قد أعطاني الله اختياراً لأن أقبل الأحاديث الموافقة لإلهامي، وأردُّها إذا خالفت آرائي»[٧].

عقيدته في الملائكة: «لا تتنزّل الملائكة ولا ملك الموت إلى الأرض أبداً، ما الملائكة إلا اسم لحرارة الروح»[٨].

عقيدته في القيامة: «القيامة ليست آتية، والتقدير ليس بشيء»[٩].

عقيدته في الحج: «بعد ظهوري تحوّل مقام الحج إلى قاديان»[١٠].

عقيدته في المسلمين: «من لم يؤمن بي من الناس.. كلهم

(١) الغلام أحمد القادياني، «توضيح المرام» (ص٨٥).
(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة.
(٣) بشير الدين محمود، مجلة «البشرى» القاديانية (ص١٠٩).
(٤) الغلام أحمد القادياني، «حاشية إزالة الأوهام» (ص٢٨).
(٥) الغلام أحمد، «حقيقة الوحي» (ص٢٠).
(٦) الغلام أحمد، «الاعجاز الأحمدي» (ص٢٠، ٣١، ٥٧).
(٧) الغلام أحمد، «ضميمة تحفة كومرية» (ص١٠).
(٨) الغلام أحمد، «توضيح المرام» (ص٥٢).
(٩) الغلام أحمد، «إزالة الأوهام».
(١٠) الغلام أحمد، «بركات الخلافة» (ص٥).

كفار من أهل جهنم»[١١].

عقائده في عيسى وأمه -عليهما السلام-: «كان يشرب الخمر، وكان عدو الصدق، متكبراً، أكّالاً، يدعي الألوهية مجتنباً العبادة والزهد غاية الاجتناب»[١٢]، وقال -عليه لعنة الله-: «كانت ثلاث جداته لأبيه -كذا-، وثلاث جداته لأمه: بغايا وزانيات»[١٣].

موقف القاديانية من الجهاد:

سعت القاديانيّة وبشكل ملحوظ إلى هدم مفهوم الجهاد، والقول بنسخه -مع أنهم ينكرون النسخ-، والشواهد على ذلك كثيرة، منها: ما ذكره الميرزا غلام أحمد بقوله: «لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ومؤازرتها، وقد ألّفتُ في منع الجهاد، ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جُمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة..»[١٤].

وقال: «ولا يجوز عندنا أن يرفع عليهم السيف بالجهاد، وحرام على جميع المسلمين أن يحاربوهم..»[١٥].

وقال: «اعلموا أن وقت الجهاد قد مضى، و لم يبق إلا جهاد القلم والدعاء..»[١٦].

وقال: «قد قال الله ﷻ: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون:٥٠]، ولما جعلني الله مثيل عيسى جعل لي السلطنة البريطانية، ربوة أمن وراحة، ومستقرّاً حسناً، فالحمد لله على

(١١) الغلام أحمد، «إنجام المهم» (ص٥٢).
(١٢) الغلام أحمد، جزء ٣ من مكتوبات أحمد (ص٢٣-٢٤).
(١٣) الغلام أحمد، «إنجام المهم» (ص٣، ٧).
(١٤) نصير، «أضواء وحقائق على البابية والبهائية والقاديانيّة» (ص٧١)، نقلاً عن ميرزا غلام أحمد، «ملحق بكتاب شهادة القرآن» (ص١٥).
(١٥) ميرزا غلام أحمد، «الاستفتاء» (ص٦٣).
(١٦) المرجع السابق ونفس الصفحة.

مأوى المظلومين»[1]، «ولولا خوف سيف الدولة البريطانية؛ لقتلوني بالسيوف والأسنّة، و لكنّ الله منعهم بتوسط هذه الدولة المُحسنة، فنشكر الله، ونشكر هذه الدولة؛ التي جعلها الله سبباً لنجاتنا من الظالمين... فوجب طاعتها ودعاء إقبالها، وسلامتها بصدق النيّة، اللهمّ أدم لنا هذه الملكة المعظمة، واحفظها بدولتها، وعزتها، يا أرحم الراحمين! لقد كان الميرزا غلام أحمد مُريداً مخلصاً لسّادته الإنجليز، وأنّه كان يَعُدُّ حكومة الإنجليز رحمة إلهية»[2].

وهذه النصوص وغيرها كثير؛ تشير بوضوح إلى أنّ القاديانيّة -ربيبة الانجليز- سعت بشكل كبير إلى هدم عقيدة الجهاد من نفوس المسلمين، مُسدِيَةً بذلك خدمة كبيرة للاستعمار الانجليزي؛ كي يستطيع تثبيت أقدامه في ديار المسلمين.

حتى ولو لم تكن القاديانيّة وليدة الاستعمار أصلاً -كما يزعم القاديانيون-؛ فهي ربيبته، وقد استفادت كثيراً من الاستعمار، وقدّمت له خدمات كبيرة؛ كان لها آثارها الإيجابية بالنسبة للمستعمر، وهي إحداث فوضى فكريّة عارمة في المجتمع الإسلامي، ومحاولة ضرب مفهوم الجهاد وإبطاله..

من تأويلات طائفة القاديانية، وبيان بطلانها:

حاول الميرزا غلام أحمد القادياني أن يتخذ من التأويل سُلَّما للوصول إلى أغراضه؛ بتأويل بعض الآيات تأويلاً بعيداً عن المعاني التي يحتملها النص، وقريباً من الأهداف التي يتوخاها! لقد جرب استعمال التأويل قبل أن يعلن نبوءته؛ حيث نجد طرفاً من تأويلاته في كتابه «براهين أحمدية»؛ الذي كتبه قبل ادعائه النبوة؛ حيث أول قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...﴾[فصلت:٣٠-٣١] بقوله: «اعلموا يقيناً أن المبشرات التي تشرفت بها في عزلتي ووحدتي سوف تتم بمرأى الجيل الحاضر ومسمعهم، وتثبت بالحق أن الإسلام هو الدين الحي؛ لايبرح يوصل أهله إلى مقام المعرفة والوصال قبل مفارقتهم هذا العالم، كما بشر به القرآن المجيد»[3].

وعندما جُوبِهَ بمعارضة شديدة، وحُكم عليه بالإعدام؛ أول الآيتين السابقتين بقوله: «يغنيك ربك ويرحمك وإن لم يعصمك الناس؛ فيعصمك الله من عنده»[4].

ولما نقل نفسه من مرحلة (المسيح الموعود) إلى مرحلة (النبوة) كان عليه أن يجد آية في القرآن يؤولها تأويلاً يدل على عملية انتقاله، ويعطيها تسويغاً ومبرراً من القرآن الكريم؛ فعمد إلى تأويل مفهوم (المسيح) ﷺ، وشخصه، وزمن ظهوره؛ فقال: «وقد أثبت في كتاب «فتح الإسلام» أن عقيدة خاطئة قد استولت على أذهان الناس، وقد شرحت أنه ليس المراد في النزول هو: نزول المسيح، بل هو إعلام عن طريق الاستعارة بقدوم مثيل المسيح، وأن هذا العاجز -يعني نفسه-، هو مصداق هذا الخبر حسب الإعلام والإلهام»[5].

وهكذا بالتأويل زعم الميرزا غلام أحمد القادياني أنه أبطل فكرة المسيح المعروفة، واستبعد نزوله، واعتبر الخبر المتداول في أذهان المسلمين إنما جاء بصيغة الإعلان على سبيل الاستعارة، وأن المراد بالمسيح هو: ذاته.

ولما كانت أخبار المسيح تذكر أنه سيظهر في دمشق عند المنارة البيضاء، والميرزا يقيم في إقليم البنجاب، كان عليه أن

---

(١) المرجع السابق، هامش (ص٥٠).
(٢) المفتي محمود، «المتنبئ القادياني» (ص١١).
(٣) انظر: د. عبد الله سلوم السامرائي، «القاديانية» (ص١٠٤).
(٤) انظر: المرجع السابق، (ص١٠٥).
(٥) انظر: المرجع السابق، (ص١٠٥-١٠٦).

يعطي لدمشق معنى آخر، ولمكانها موقع ثان؛ يتلاءم وظروف الميرزا، فعمد إلى التأويل؛ فنقل بالتأويل (دمشق) إلى (إقليم البنجاب)، ونصب المنارة البيضاء هناك، كما نقل ما يزعم أنه قبر المسيح عليه السلام في كنيسة القيامة في القدس إلى منطقة كشمير؛ فقال: «ليعلم الإخوان أن الله أطلعني فيما يتصل بكلمة دمشق، على أن المسمى بهذا الاسم -دمشق-: قرية يسكنها رجال طبيعتهم يزيدية، وهم أتباع يزيد الخبيث..؟

ولما كان من شأن الطبيب أن يأتي إلى المرضى؛ وجب أن يكون نزول المسيح في أمثال هؤلاء، وإن قرية قاديان مشابهة لدمشق؛ فأنزلني الله لأمر عظيم في دمشق هذه بطرف المنارة البيضاء من المسجد الذي من دخله كان آمناً، فتبارك الله الذي أنزلني في هذا المقام!»[1].

ولم يكتف الميرزا القادياني بنقل دمشق ومنارة مسجدها إلى قاديان، بل نقل المسيح نفسه! حيث زعم أنه هاجر من فلسطين إلى كشمير قبل ألفي سنة، وتوفي ودفن فيها[2].

وهذا ما ذكره في تأويله لقوله @: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[المؤمنون:٥٠]؛ فقال: «إن المراد بها: المسيح وأمه، وأنهما هاجرا من فلسطين إلى كشمير، وأن المسيح وأمه سافرا إلى كشمير بعد واقعة الصلب؛ كما قال ﷻ، فإن الإيواء في اللغة العربية تستعمل بمعنى الإنقاذ والإجارة من العذاب أو المشقة، وظاهر أنه لم يبتل المسيح وأمه قبل واقعة الصلب بشيء من حدثان الدهر، لذلك لزم منه أن الله @ إنما أدنى المسيح وأمه إلى الربوة المذكورة، بعد حادثة الصلب»[3].

وقال في تأويل قوله @: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[التحريم:١٢]: «وهذه بشارة بأنه سيكون في هذه الأمة الإسلامية رجل من درجة مريم الصديقة، ثم ينفخ فيه روح عيسى، فإذا مريم يخرج منها عيسى، أي: الرجل ينتقل من صفاته المريمية إلى صفاته العيسوية، فكأنما كينونته المريمية أنتجت العيسوية،وبهذا المعنى يسمى ذلك الرجل: ابن مريم»[4].

ثم أول القادياني غلام أحمد كل آية ورد فيها ذكر المسيح وأمه -عليهما السلام-، فقال: «أنا المراد بمريم، وأنا المراد بعيسى، وعني قيل: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا . . . ﴾[مريم:٢١]، وعني قيل: أنه المسيح بن مريم، الموعود نزوله»[5].

وقال في تأويل قوله @: ﴿اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]: «يأتي أمثال أنبياء بني إسرائيل، ومن كان مثيل نبي من الأنبياء سمي باسمه، فيسمى مثيل موسى بموسى، ومثيل عيسى بعيسى، ولما كنت مثيل عيسى سميت باسم عيسى.

وذكر في القرآن المجيد: ﴿اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾[الفاتحة:٦-٧]، أي: يا الله اجعلنا مَثيلين للرسل والأنبياء»[6].

وقال في تأويل قوله @: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[البقرة:١٢٥]: «وهذه الآية تشير إلى أن الأمة المحمدية كلما صارت فرقاً كثيرةً؛ يولد في آخر الزمان إبراهيم، فتكون الفرقة التي تتبع إبراهيم هي الفرقة الناجية، -ويعني بذلك: أنه إبراهيم والقاديانية التي تتبعه هي الفرقة الناجية-»[7].

(١) انظر: المرجع السابق، (ص١٠٦-١٠٧).
(٢) انظر: المرجع السابق، (ص١٠٧).
(٣) انظر: المرجع السابق، (ص١١-١١٢).
(٤) انظر: د. حسن عيسى عبد الظاهر، «القاديانية - نشأتها وتطورها» (ص١٤٣-١٤٤).
(٥) د. عبد الله سلوم السامرائي، «القاديانية» (ص١١٣).
(٦) الغلام القادياني، «إزالة الأوهام» (ص٣٢٢) نقلاً عن «المتنبئ القادياني: أحواله وأكاذيبه» (ص١٦).
(٧) انظر: المفتي محمود، «المتنبئ القادياني» (ص١٦).

وقال في تأويل قوله @: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ..﴾[آل عمران:١٢٣] الآية: «إن الله ينصر المؤمنين بظهور المسيح الموعود في قرن من القرون الآتية، يكون عددها مساوياً للبدر التام -فحرف معنى كلمة (بدر) من اسم المكان الذي وقعت فيه المعركة الشهيرة التي فرق الله فيها بين الحق والباطل، إلى البدر الذي هو حالة من حالات القمر!-، ويعني بذلك: ظهوره في القرن الرابع عشر الهجري»[(١)].

وقال في تأويل قوله @: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ..﴾[الصف:٩] الآية: «إن هذه الآية في الحقيقة متعلقة بزمان هذا المسيح.. -يريد نفسه-»[(٢)].

وقال في تأويل قوله @: ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[المؤمنون:١٨]: «إن المراد بهذه الآية: سنة ١٨٥٧م، وهذا هو زمان ظهور الميرزا غلام أحمد؛ الذي بظهوره تنطفئ شعلة المذاهب والأديان الأخرى»[(٣)].

وقال الغلام القادياني -افتراء على الله- أن كثيراً من آيات القرآن الكريم نزلت في شأنه[(٤)]، منها:

قوله @: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ..﴾[آل عمران:٣١].

وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..﴾[الفتح:١-٢].

وقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[الكوثر:١].

وقوله: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء:٧٩].

وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:٣-٤].

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

إلى غير ذلك من المزاعم.

والتأويلات الفاسدة التي يلجأون إليها لإثبات نبوة متنبئهم الكذاب، والتي لا تنطلي إلا على الجهلة من الناس والعلوج[(٥)] البعيدين عن تذوق وفهم اللغة العربية الشريفة.

وأول محمد علي -أمير جماعة القاديانية، وأحد خلفاء الميرزا، وزعيم شعبة لاهور- قوله @: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾[الأحقاف:٢١] الآية، بما نصه: «إن الجن طائفة من البشر اجتمعوا بالنبي في الخفاء.. وليس المراد به: نفوساً لا يقع عليها البصر.. وقد جاءوا من الخارج، وكانوا غرباء، ولذلك سمّوا جنّاً.. والمراد بذلك في قوله @: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾[الجن:١]، يظهر أنهم كانوا نصارى.. وقد جاء ذكرهم على طريق النبوءة.. ويكون المراد: إن شعوباً مسيحية تبلغ الذروة في العظمة والرقي فتصبح بذلك جنّاً وعفاريت، وعباقرة في القوة والصنعة..»[(٦)].

وهذا مخالف لما ذهب إليه (سليم الجابي) -أحد أتباعهم- في كتابه «الجن حقيقة لا خيال»؛ إذ اعتبر أن الجن: «هم وفد من يهود أفغانستان؛ حيث هاجروا إليها بعد أن هدم (بختنصر) هيكل سليمان، وسباهم إلى العراق، فلما وصلتهم أخبار ادعاء محمد ﷺ النبوة؛ انتخبوا من جانبهم نفراً مندوبين عنهم، وأرسلوهم إلى مكة للتحقيق في صدق نبوة هذا الرسول

---

(١) انظر: المرجع السابق، (ص١٧).
(٢) انظر: المرجع السابق ونفس الصفحة.
(٣) انظر: المرجع السابق ونفس الصفحة.
(٤) انظر: المرجع السابق ونفس الصفحة.
(٥) العِلج (بكسر العين): الواحد من كفار العجم. انظر محمد بن أبي بكر الرازي، «مختار الصحاح» (ص٤٩٩).
(٦) انظر: مجلة «الصراط المستقيم» العدد الصادر بتاريخ ٢١ شوال/ ١٣٥١هـ.

العربي، فهذا النفر من يهود أفغانستان هو الذين أشير إليهم في هذه الآيات الكريمة»[1].

وقد حشا كتابه بمثل هذه التأويلات السخيفة التي لا يقرها عقل سليم، أو شرع، من ذلك -مثلاً-: تأويله لكلمة (الهدهد) في قوله @: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[النمل:٢٠]، فقال: «إن كلمة (هدهد) أريد بها: اسم رجل، ولم يكن المراد بها: طائراً من الطيور المعروفة.. كان رجل مخابرات، ومختصاً باستقصاء أحوال كل من كان غريباً عن بلاده، ولم يكن المراد به: طيراً من الطيور»[2].

وهذا بالطبع تحريف وتلاعب صريح بمعاني القرآن، سنده الهوى الآثم، والكذب على الحق، والافتراء على الله، وإخراج لآياته عن مقاصدها الحقيقية؛ لبث الفوضى الفكرية والاجتماعية، والدينية، فلا يلتزمون بقواعد التفسير، ولا أصول اللغة.

ومتى ما حملوا ظواهر الآيات على بواطنَ لا تدل عليها تلك الظواهر، ولا تفيدها بحقيقتها ولا مجازها؛ أفسحوا بذلك المجال لباطني آخر ليحملها على معان أخرى تناقض ما ذكروه وتهدمه، وبذلك تصبح الآيات التي أنزلت لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور مجالاً للعبث والهذيان!

كما أول الغلام القادياني قوله @: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ..﴾[الصف:٦]؛ فزعم أنه هو المقصود بهذه الآية، فهو الغلام: أحمد القادياني، والآية بشرت بمجيئه[3]؟! والآية لا تدل على ذلك من قريب ولا بعيد؛ إذ تتحدث سورة الصف من بدايتها عن تسبيح جميع المخلوقات في السموات والأرض لله ﷻ، فجاء ذكر نبينا ﷺ بصيغة أفعل التفضيل (أحمد)؛ لتبين لنا أنه ﷺ أكثر تسبيحاً لله من جميع الخلوقات.. لا كما تبادر إلى ذهن هذا العلج البليد!

كما أول قوله @: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ..﴾[القصص:٧٠] الآية؛ فقال: «أريد في هذه الآية: أحمدان، المراد في الأولى: رسولنا أحمد المجتبى، والمراد بالآخر: أحمد الذي يكون في آخر الزمان..؛ أي: المسيح والمهدي..، أي: أحمد القادياني»[4].

كما رأى القاديانيون وغيرهم من البهائيين: أن قوله @ في وصف نبيه العظيم ﷺ: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠] يسد عليهم الطريق في إدعاء النبوة؛ فأولوا الآية على معنى يخرجهم من هذا المأزق؛ فقالوا: «إنه خاتم الأنبياء، بمعنى: أنه وحده صاحب الختم لا غير، وليس لأحد أن يحظى بنعمة الوحي إلا بفيض خاتمه، فلا صاحب للختم الآن إلا هو، وخاتمه وحده يكسب النبوة التي تستلزم أن يكون صاحبها من أمة محمد..»[5].

إن مسألة ختم النبوة والرسالة برسول الله ﷺ معلومة بالضرورة عند المسلمين، فهي من الثوابت في عقائد المسلمين، ثابتة بكتاب الله وسنة رسوله، وبإجماع الصحابة وعلماء الأمة؛ منذ مبعث الرسول ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فالشك فيها هو شك بالقرآن، وميل إلى صريح الكفر، وخسران مبين في الدنيا والآخرة[6].

---

(١) انظر: سليم الجابي، «الجن حقيقة لا خيال» (ص٤٩).

(٢) انظر: سليم الجابي، «الجن حقيقة لا خيال» (ص١٧٠-١٨١).

(٣) انظر: المفتي محمود، «المتنبئ القادياني» (ص١٧).

(٤) انظر: المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٥) انظر: حسن عيسى عبد الظاهر، «القاديانية - نشأتها وتطورها» (ص١٢٢-١٢٣).

(٦) انظر: المرجع السابق ونفس الصفحة.

وكلمة (خاتم) قرأها (عاصم) بفتح التاء، وقرأها الباقون بكسر التاء[1].

وتعني القراءة الأولى: أنه كالحلقة المحيطة بهم، والمهيمن على رسالاتهم.

وتعني الثانية: أنه آخرهم، وكلتا القراءتين تكذبان دعوى مدعي النبوة بعد رسول الله ﷺ[2].

أما القول بأنه ﷺ زينة الأنبياء وليس بخاتمهم فقول ساقط؛ لأنه مخالف لعرف اللغة، ولجوء صريح إلى التأويل الباطني لنص القراءتين السبعيتين.

ورغم تعدد القراءات؛ فإن المفسرين[3] لا يرون أن في ذلك تأثيراً على المعنى؛ وهو: انقطاع النبوة بعد محمد ﷺ.

وقد أخبرنا الله ﷻ بكمال الدين فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

فلسنا بحاجة إلى من يستدرك عليه شيئاً، أو يزيد أي شيء؛ بعد نعمته ﷻ بإكمال هذا الدين.

والمتتبع لأحاديث رسول الله ﷺ يرى أنها قد أكدت ختم النبوة، وانقطاع الوحي بعده ﷺ بعبارات متنوعة؛ بحيث لا يبقى مجال للشك أو التردد في كون رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء؛ لا نبي بعده، ولا شرع بعد شرعه.

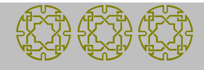
عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها.. -إلى أن يقول-: وأنه سيكون في أمتي كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي»[4].

لقد عاش الغلام القادياني وخلفاؤه وأتباعه من بعده يتاجرون بالأباطيل، والتأويلات الفاسدة، وكل امرئ لا يعصمه دين قويم، ولا خلق شريف، ولا عقل صحيح؛ يستطيع أن يدعي ما يشاء!

وما في القاديانية إلا أمشاج كفر، أو خليط منه، ولكنه الخليط الذي لا ينتج إلا ما تعافه النفس السوية!!

ولا تلقى أمثال هذه الدعوات أنصاراً لها؛ إلا بين ذوي الأمزجة المنحرفة الموتورة، والأهداف الساقطة.

ولكن أبناء المجتمع العربي الإسلامي رغم الكيد المسعور الذي يُوَجَّهُ إليهم، ورغم المؤامرات التي تحاك ضدهم؛ فإنهم يحملون بين حناياهم عقيدة طاهرة تحميهم من السقوط في حبائل هؤلاء المفسدين؛ الذين استهواهم الشيطان، وتجعلهم يرفضون كل دعوة تخرج على ثوابت دينهم، بل تجعلهم كالبنيان المرصوص في وجه أدعياء النبوة، وسدنة الباطل.



(١) مكي بن أبي طالب، «التبصرة في القرآت السبع» (ص٦٤٢).
(٢) الإمام الطبري، «جامع البيان» (ج٢٢/ص١٦).
(٣) انظر: الطبري، «جامع البيان» (ج٢٢/ص١٦)، وابن الجوزي، «زاد المسير» (ج٦/ص٣٩٣)، والبيضاوي، «أنوار التنزيل» (ص٥٥٩).
(٤) انظر: أبو داود، «السنن» (ج٤/ص١٣٨)، والترمذي، «السنن» (ج٦/ص٤٦٦)، والإمام أحمد، «المسند» (ج٤/ص٢٢١٥).

مصطفى السباعي يكشف خداع عبد الحسين شرف الدين صاحب «المراجعات»

أسامة شحادة - خاص بـ «الراصد»

تمهيد

يُعد الشيخ الدكتور مصطفى السباعي من العلماء البارزين في تاريخ جماعة الإخوان، حيث ولد بحمص في سورية عام ١٩١٥م، ونشأ في أسرة علمية عريقة معروفة، وكان والده وأجداده يتولون الخطابة في الجامع الكبير بحمص.

سافر إلى الأزهر للدراسة عام ١٩٣٣م، وهناك تعرَّف إلى الأستاذ حسن البنا -المرشد العام للإخوان المسلمين-، وبعد عودته إلى سورية اتفق مع العلماء والدعاة ورجال الجمعيات الإسلامية في المحافظات السورية عام ١٩٤٢م على توحيد صفوفهم، والعمل جماعة واحدة باسم (جماعة الإخوان المسلمين) لعموم سورية.

وفي عام ١٩٤٥م أصبح السباعي أول مراقب عام للإخوان المسلمين في سورية، وقد قاد كتيبة الإخوان المسلمين السوريين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، وأصبح نائباً في البرلمان السوري سنة ١٩٤٩م.

كان لديه عناية بنشر التعليم الشرعي على أسس أكاديمية؛ فعمل على إدخال مواد التربية الإسلامية إلى المناهج التعليمية، وساهم بإنشاء كلية الشريعة في الجامعة السورية، وتبنى مشروع إنشاء موسوعة للفقه الإسلامي يساهم فيها العلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي؛ لتقديم الفقه الإسلامي في ثوب جديد يعالج قضايا العصر، ويحل مشكلاته على ضوء الكتاب والسنة وفقه السلف الصالح، واجتهاد العلماء الذين يملكون وسائل الاجتهاد وأدواته.

وكان له مساهمات قيمة في مجالات الدعوة الإسلامية؛ بحضور المؤتمرات، وإنشاء الصحف والمجلات، وتأليف الكتب، وإقامة المحاضرات والندوات؛ فضلاً عن المشاركة السياسية والجهادية.

وقد مرض مرضاً شديداً عدة سنوات قبل وفاته / سنة ١٩٦٤م.

من هو عبد الحسين شرف الدين؟

عبد الحسين شرف الدين (١٢٩٠ هـ - ١٣٧٧ هـ): عراقي المولد والأصل، سكن جبل عامل (جنوب لبنان)، وترك أثراً كبيراً على الواقع السياسي والاجتماعي في جبل عامل جنوب لبنان.

جاء في ترجمته في «موسوعة ويكيبيديا»: «أنه بلغ مرتبة الاجتهاد وعمره ٣٢، وبعد قضاء فترة في العراق وحسب التخطيط ذهب إلى لبنان، وبسبب دوره السياسي تنقل بين لبنان وسورية ومصر وفلسطين».

ولاحظ هنا قولهم: (حسب التخطيط)!! من المخطط؟؟ ماذا يخطط؟؟ وماذا تم تنفيذه من المخطط؟؟ حتى تعرف أن التشيع حركة منظمة وليست أمراً عفويّاً؛ كما يظن كثير من السذج في الجماعات الإسلامية، والأحزاب السياسية، والسلطات السياسية والأمنية!!

وتنص ترجمته على أنه: «كان حسن المذهب والديانة، ودخل مع المخالف بحجة الوحدة والتقريب، ولكنه استمسك بأصول الإمامة والولاية، وألف في ذلك كتابه المشهور والمعتمد على ١٠٠ آية في إثبات نصية الإمامة، وكما أفحم المخالف بإثبات تخبط المخالف

النواصب بعدم صحة الكتب الستة، كما فند رواتهم.

وقد يقول القائل: هو أول من أسس مدرسة التقريب، والحق يقال هو أول من أسس مدرسة إفهام البعيد بخطئه وصحة ما ذهب اليه أهل البيت ومدرستهم، ولكن بطريقته الخاصة؛ وهذه الطريقة هي المعتمدة في العالم اليوم، وله الفضل فيها».

أما كتبه التي تختص بالعلاقة مع أهل السنة فمن أهمها:

١- **«الفصول المهمة في تأليف الأمة»**، وهو يبحث مسائل الخلاف بين السنة والشيعة، طبع سنة ١٣٢٧هـ، ومُلِئ بالمغالطات.

٢- **«أجوبة مسائل موسى جار الله»**، طبع بصيدا سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م، وهو رد على الشيخ موسى جار الله -مفتي السنة في بلاد روسيا-، والذي تجول بين الشيعة في إيران والعراق، ثم كتب مجموعة أسئلة وأرسلها للمراجع الشيعة، فعجزوا عن الرد عليها! سوى بمثل هذه الكتب المليئة بالكذب والخداع!!

٣- **«المراجعات»**، وهو رسائل بين عبد الحسين والشيخ سليم البشري -شيخ الأزهر-، والذي طبع بصيدا سنة ١٣٥٥هـ، وترجم إلى اللغة الفارسية، واللغة الإنكليزية، واللغة الأوردية، وفي هذا الكتاب صور شيخ الأزهر تلميذاً بين يديه!! ولم يطبع هذا الكتاب إلا بعد ٢٠ سنة من وفاة الشيخ البشري عام ١٣٣٥هـ!! ولم يكن في الكتاب أي صورة لهذه الرسائل المزعومة، وقد أنكر أولاد وأحفاد البشري وجود هذه الرسائل والعلاقة أصلاً[1]!!

٤- **«أبو هريرة»**، طبع بصيدا سنة ١٣٦٥هـ، ملأه بسب وتكذيب أبي هريرة صراحة دون تقية!

قصة الشيخ السباعي مع المخادع عبد الحسين شرف الدين:

يقول الشيخ السباعي في مقدمة كتابه «السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي»:

«**في عام ١٩٥٣ زرت عبد الحسين شرف الدين** في بيته بمدينة (صور) في جبل عامل، وكان عنده بعض علماء الشيعة، فتحدثنا عن ضرورة جمع الكلمة، وإشاعة الوئام بين فريقي الشيعة وأهل السنة، وأن من أكبر العوامل في ذلك: أن يزور علماء الفريقين بعضهم بعضاً، وإصدار الكتب والمؤلفات التي تدعو إلى هذا التقارب.

وكان عبد الحسين / متحمساً لهذه الفكرة، ومؤمناً بها، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر لعلماء السنة والشيعة لهذا الغرض، وخرجت من عنده وأنا فرح بما حصلت عليه من نتيجة، ثم زرت في بيروت بعض وجوه الشيعة من سياسيين وتجار وأدباء لهذا الغرض، ولكن الظروف حالت بيني وبين العمل لتحقيق هذه الفكرة.

ثم ما هي إلا مدة من الزمن؛ حتى فوجئت بأن عبد الحسين أصدر كتاباً في أبي هريرة، مليئاً بالسباب والشتائم!! ولم يتح لي -حتى الآن- قراءة هذا الكتاب؛ الذي ما أزال أسعى للحصول على نسخة منه، ولكني علمت بما فيه مما جاء في كتاب أبي رية من نقل بعض محتوياته، ومن ثناء الأستاذ عليه؛ لأنه يتفق مع رأيه في هذا الصحابي الجليل[2].

لقد عجبت من موقف عبد الحسين في كلامه! وفي كتابه -معاً-!! ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي».

وقد تعلم الشيخ السباعي من هذه الحادثة أن دعوة الشيعة المعاصرين للتقارب هي محض كذب وخداع؛ فقال: « وقد بدأ

---

(١) يمكن مطالعة مقالة (ردّ عائلة الشيخ سليم البشري على بهتان الشيعة في كتاب المراجعات) للدكتور طارق عبد الحليم -وهو أحد أحفاد الشيخ البشري- على شبكة الإنترنت.

(٢) ذكرت -هنا- في هذه المقدمة التمهيدية للطبعة الأولى: أني لم أكن حين كتابتها أملك نسخة من كتاب «أبو هريرة» للشيخ عبد الحسين شرف الدين.
ولكني بعد ذلك استطعت شراء نسخة من الكتاب المذكور في طبعته الثانية؛ التي تمت في حياة المؤلف، وبعد أن قرأته -كله- تأكد لي ما كنت ذكرته عن هذا الكتاب في هذه المقدمة التمهيدية، بل أكثر مما كنت أظنه! فقد انتهى مؤلفه إلى القول «بأن أبا هريرة كان منافقاً، كافراً! وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار!!»، ولما كان أبو رية قد أثنى على هذا الكتاب ومؤلفه؛ فإنه يكون موافقاً لمؤلفه في تلك النهاية التي انتهى إليها رأيه في أبي هريرة؟!.. ونعوذ بالله من الخذلان، وسوء المصير!! (هذه الحاشية للشيخ السباعي).

علماء الفريقين في الحاضر يستجيبون إلى رغبة جماهير المسلمين في التقارب، ودعوة مفكريهم إلى التصافي، وأخذ علماء السنة بالتقارب عمليّاً؛ فاتجهوا إلى دراسة فقه الشيعة، ومقارنته بالمذاهب المعتبرة عند الجمهور، وقد أدخلت هذه الدراسة المقارنة في مناهج الدراسة في الكليات، وفي كتب المؤلفين في الفقه الإسلامي، وإنني شخصيّاً - منذ بدأت التدريس في الجامعة - أسير على هذا النهج في دروسي ومؤلفاتي.

ولكن الواقع أن أكثر علماء الشيعة لم يفعلوا شيئاً عمليّاً - حتى الآن -، وكل ما فعلوه جملة من المجاملة في الندوات والمجالس! مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة، وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروى في كتب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار، بل إن بعضهم يفعل خلاف ما يقول في موضوع (التقريب)! فبينما هو يتحمس في موضوع التقريب بين السنة والشيعة؛ إذا هو يصدر الكتب المليئة بالطعن في حق الصحابة أو بعضهم؛ ممن هم موضع الحب والتقدير من جمهور أهل السنة».

وأضاف السباعي - أيضاً - مؤكداً: « وأرى - الآن - نفس الموقف من فريق (دعاة التقريب) من علماء الشيعة؛ إذ هم بينما يقيمون لهذه الدعوة الدور، وينشئون المجلات في القاهرة، ويستكتبون فريقاً من علماء الأزهر لهذه الغاية، لم نر أثراً لهم في الدعوة لهذا التقارب بين علماء الشيعة في العراق وإيران وغيرهما!!

فلا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم؛ من ذلك الطعن الجارح، والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، وكأن المقصود من دعوة التقريب هي: تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة، لا تقريب المذهبين كلٍّ منهما إلى الآخر!...

ولكن كتاباً ككتاب المرحوم الشيخ عبد الحسين شرف الدين في الطعن بأكبر صحابي موثوق في روايته للأحاديث في نظر جمهور أهل السنة لا يراه أولئك العاتبون أو الغاضبون عملاً معرقلاً لجهود الساعين إلى التقريب!... فهنالك كتب تطبع في العراق، وفي إيران وفيها من التشنيع على عائشة - أم المؤمنين -، وعلى جمهور الصحابة؛ ما لا يحتمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير!!». ا.هـ

عبر ووقفات:

١ - إن عبد الحسين قبل لقائه بالسباعي عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م لم يكن شخصاً مغموراً بل كان شخصية شيعية مرموقة، ولها كتب مطبوعة؛ نشر فيها فكره (فصول مهمة، طبع ١٣٢٧ هـ)، (مسائل جار الله، طبع ١٣٥٥ هـ)، (المراجعات، طبع ١٣٥٥ هـ)، (أبو هريرة، طبع ١٣٦٥ هـ)، وهي مطبوعة في مدينة صيدا بقرب دمشق، ولذلك كان من الخطأ إحسان الظن بنية عبد الحسين بالتقريب من الشيخ السباعي؛ حيث كتب: «وكان عبد الحسين / متحمساً لهذه الفكرة، ومؤمناً بها، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر لعلماء السنة والشيعة لهذا الغرض، وخرجت من عنده وأنا فرح بما حصلت عليه من نتيجة»!!

ولذلك يجب علينا اليوم قبل قبول أي شخصية غير سنية - شيعية أو غير شيعية - لا بد من فحص مواقفه ومؤلفاته لمعرفة حقيقته، بدلاً من تكرار المأساة بقبول شخصيات تطعننا في الظهر!

٢ - أن السباعي رغم اطلاعه على موقف عبد الحسين من الصحابة؛ وخاصة أبي هريرة؛ نراه لا يزال يترحم عليه!!

٣ - أن السباعي بما امتلكه من علم صحيح وتجربة عملية تمكن من كشف مخادعة عبد الحسين، وقاس عليه دعاة التقريب في مصر، فلماذا نكرر التجربة ونقع في الفخ نفسه؟!

فها هو عبد الحسين يؤيد التقريب ويؤلف كتاباً للطعن في أبي هريرة!!

وها هو التسخيري والخرساني يقودان التقريب اليوم، ويحضيان بقبول واسع وهما يواصلان العمل على نشر التشيع بين السنة!!

فمتى يتعلم أمثال د. العوا، وفهمي هويدي، وأمثالهم، ومتى يتعلم كثير من قادة الإخوان من تجربة الشيخ السباعي؟!



موسوعة مصطلحات الشيعة (٩)
حرف (الخاء)

إعداد: هيثم الكسواني - خاص بـ «الراصد»

خاتمة محدثي الشيعة:

لقب يطلقه الشيعة على: محمد باقر المجلسي -أحد أكبر علماء الشيعة في العصر الصفوي-، (ت ١١١٠ أو ١١١١هـ)، وصاحب المؤلف المشهور «بحار الأنوار»؛ الذي يعد من أهم كتب الحديث عندهم.

الخارج:

يعتبر «بحث الخارج» ثالث وآخر مراحل الدراسة الحوزوية عند الشيعة؛ بعد دراسة المقدمات والسطوح.

وسميت بمرحلة البحث الخارج لأن الدراسة فيها تتم خارج نطاق الكتب التي يعتمدها المدرس في تحضير مادته، وهذه المرحلة عبارة عن حلقات دراسية يقوم برعايتها علماء الحوزة، وتتركز في الفقه وأصوله.

ويستمر الطالب الشيعي على هذا النمط الخاص من الدراسة حتى يبلغ مرحلة الاجتهاد، في الوقت الذي يقوم فيه -أيضاً- بإدارة حلقات دراسية من الدور الابتدائي.

الخاصّة:

لقب يطلقه شيوخ الشيعة على طائفتهم، بينما يصفون أهل السنة بـ «العامّة».

خدابنده:

كلمة فارسية تعني: عبد الله.

وخُدابنده: لقب اشتهر به أحد ملوك التتار الذين احتلوا ودمّروا أجزاء واسعة من العالم الإسلامي، واستطاعوا أن يسقطوا دولة الخلافة العباسية في منتصف القرن السابع الهجري.

وقد تولى خدا بنده (ويلفظ -أيضاً-: خربنده) الحكمَ في سنة ٧٠٢هـ، بعد موت أخيه قازان، وتسمى باسم أولجاتيو محمد خدا بندا، واعتنق التشيع والرفض.

يقول فيه الإمام ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»: «وكان موصوفاً بالكرم، ومحبّاً للّهو واللعب والعمائر، وأظهر الرفض، أقام سَنة على السُّنه، ثم تحول إلى الرفض..».

ويقول ابن كثير في أحداث سنة ٧٠٩ هـ: «وفيها أظهر ملك التتر خربندا الرفض في بلاده، وأمر الخطباء أولاً أن لا يذكروا في خطبتهم إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل بيته..».

ولأن خدا بنده كان حديث عهد بالإسلام، ولا معرفة له بالعقيدة الإسلامية وتاريخ المسلمين؛ فقد التقى بأحد أكبر شيوخ الشيعة في زمانه، وهو ابن مطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ)؛ الذي حظي عنده بمنزلة عظيمة، فزيّن له مذهب الشيعة؛ فدخل فيه خدا بنده مع جميع أتباعه.

وقد ألّف الحليِّ للسلطان خدابنده عدة مؤلفات لإغرائه بالتمسك بالتشيع، منها: كتاب «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة»؛ الذي يقول عنه: «فهذه رسالة شريفة، ومقالة لطيفة، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، وهي (مسألة الإمامة)؛ التي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة، وهي أحد أركان الإيمان..

خدمتُ بها خزانة السلطان الأعظم، مالك رقاب الأمم، ملك

ملوك طوائف العرب والعجم، مولى النعم.. أولجايو خدابنده».

وهي التي رد عليها شيخ الإسلام ابن تيمية بكتابه العجيب «منهاج السنة».

وقد ظل السلطان خدا بنده معتنقاً لمذهب التشيع إلى أن مات في سنة ٧١٦هـ، وهو في الثلاثينات من العمر، يقول ابن كثير: «وقد جرت في أيامه فتن كبار، ومصائب عظام، فأراح الله منه العباد والبلاد!».

وبعد موته، تولى الحكم ولده أبو سعيد؛ وهو حينها فتى صغير، لكنه ما لبث أن ترك التشيع وعاد إلى السنة، يقول ابن كثير: «ولعب كثير من الناس به في أول دولته، ثم عدل إلى العدل وإقامة السنة، فأمر بإقامة الخطبة بالترضي عن الشيخين أولاً، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم، ففرح الناس بذلك، وسكنت بذلك الفتن والشرور والقتال».

الخراساني:

عند الشيعة هو: الشخص الذي يسلّم الراية إلى المهدي المنتظر عند ظهوره، ويكون حينها صاحب أعلى منصب عند أهل إيران (خراسان).

وفي كتاب «أحمدي نجاد والثورة العالمية المقبلة» لفارس فقيه، سنة ٢٠٠٦م، وهو من أحدث الكتب الشيعية التي تحدثت عن قرب ظهور المهدي؛ يرى المؤلف انطباق مواصفات الخراساني على مرشد الثورة الإيرانية الحالي علي خامنئي، ومنها: أنه من آل البيت، ومن خراسان، وصبيح الوجه، وفي خدّه الأيمن خال (شامة)، وفي يده اليمنى ضعفٌ إثر تعرضه لمحاولة اغتيال، إضافة إلى أنه صاحب أعلى منصب في إيران.

الخشبية:

من الأسماء التي أُطلقت على الشيعة الإثني عشرية.

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة النبوية» أنهم لُقبوا بذلك «لقولهم: إنا لا نقاتل بالسيف إلّا مع إمام معصوم، فقاتلوا بالخشب».

الخطابية:

فرقة شيعية منقرضة من الغلاة، تنتسب إلى أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي.

ويذكر الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» عن الخطابية أنهم: «يقولون: إن الإمامة كانت في أولاد علي، إلى أن انتهت إلى جعفر الصادق، ويزعمون أن الأئمة كانوا آلهة، وكان أبو الخطاب يزعم أولاً أن الأئمة أنبياء، ثم زعم أنهم آلهة، وأن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه.

وكان يقول: إن جعفراً إله، فلما بلغ ذلك جعفراً لعنه وطرده.

وكان أبو الخطاب يدّعي بعد ذلك الإلهية لنفسه، وزعم أتباعه أن جعفراً إله، غير أن أبا الخطاب أفضل منه وأفضل من علي».

ومما قاله الخطابية -أيضاً-: «ينبغي أن يكون في كُلّ وقت إمام ناطق، وآخر ساكت،.. وإنّ عليّاً كان في وقت النبي صامتاً، وكان النبي ﷺ ناطقاً، ثمّ صار علي بعده ناطقاً.

وهكذا يقولون في الأئمة، إلى أن انتهى الأمر إلى جعفر، وكان أبو الخطاب في وقته إماماً صامتاً، وصار بعده ناطقاً».

وكانت نهاية أبي الخطاب في زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور؛ الذي وجّه إليه جيشاً كثيفاً لمحاربته بعد أن خرج على والي الكوفة عيسى بن موسى، فتمكن الجيش العباسي من أسر أبي الخطاب وصلبه في سنة ١٤٣هـ.

وبعد مقتل أبي الخطاب افترق اتباعه إلى خمس فرق، كلهم يزعمون أن الأئمة آلهة، وأنهم يعلمون الغيب وما هو كائن قبل أن يكون.

وفي كتابه «الإسماعيلية تاريخ وعقائد» يبين الشيخ إحسان إلهي ظهير أن أبا الخطاب له صلة وثيقة بنشأة فرقة الإسماعيلية وتكوينها وإيجاد عقائدها التي تبنتها فيما بعد؛ فإن الإسماعيلية هي مجموعة أفكار أبي الخطاب وأصحابه، كما أن أول من قام بالدعوة الإسماعيلية - ميمون القداح - كان من أصحاب أبي الخطاب.

خطبة الطالوتية:

خطبة ينسبها الشيعة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن ضمن ما فيها: وَعِيد للصحابة بأنه سينزل بهم ما أنزله الله @ بالأقوام السابقة من العذاب، بزعم أنهم صدّوا عن الحق، وتركوا الوصي الذي أُمرهم الله به!

ومما جاء في هذه الخطبة: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ! لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي صَاحِبُكُمْ، وَالَّذِي بِهِ أُمِرْتُمْ، وَأَنِّي عَالِمُكُمْ، وَالَّذِي بِعِلْمِهِ نَجَاتُكُمْ، وَوَصِيُّ نَبِيِّكُمْ، وَخِيَرَةُ رَبِّكُمْ، وَلِسَانُ نُورِكُمْ، وَالْعَالِمُ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، فَعَنْ قَلِيلٍ رُوَيْداً يَنْزِلُ بِكُمْ مَا وُعِدْتُمْ، وَمَا نَزَلَ بِالأمَمِ قَبْلَكُمْ، وَسَيَسْأَلُكُمُ اللهُ عز وجل عَنْ أَئِمَّتِكُمْ، مَعَهُمْ تُحْشَرُونَ، وَإِلَى الله عز وجل غَداً تَصِيرُونَ..».

ومما جاء فيها -أيضاً-: «أَمَا وَاللهِ! لَوْ كَانَ لِي عِدَّةُ أَصْحَابِ طَالُوتَ، أَوْ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ -وَهُمْ أَعْدَاؤُكُمْ- لَضَرَبْتُكُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى تَئُولُوا إِلَى الْحَقِّ، وَتُنِيبُوا لِلصِّدْقِ..».

الخطة الخمسينية:

خطة سريّة أعدّها مجلس شورى الثورة الثقافية الإيرانية، ووجّهها إلى المحافظين في الولايات الإيرانية.

وقد استطاعت رابطة أهل السنة في إيران (مكتب لندن) الحصول على هذه الوثيقة الهامة، وقام الدكتور عبد الرحيم البلوشي بترجمتها إلى اللغة العربية.

وهذه الخطة موجهة إلى المناطق السُّنية في إيران، وإلى دول الجوار؛ وبشكل خاص: العراق، ودول الخليج العربي (السعودية، والكويت، والبحرين، وقطر، والإمارات، وعُمان)، إضافة إلى أفغانستان، وباكستان، وتركيا.

وتهدف الخطة -المشتملة على خمس مراحل، مدة كل منها عشر سنوات- إلى تصدير الثورة الإيرانية؛ لكن بأساليب أقل حدّة عمّا اتبعه مرشد الثورة السابق روح الله الخميني؛ للوصول إلى الهدف ذاته، وهو: السيطرة على المنطقة وتشييعها.

ويمكن الإطلاع على بعض تطبيقاتها الواقعية في دراسة (أضواء على الخطة السرية، دراسة في الأسلوب الجديد لتصدير الثورة الإيرانية) لأسامة شحادة في كتابه «المشكلة الشيعية».

وفي كتابه «الخطة الخمسينية وإسقاطاتها في مملكة البحرين» يرى الدكتور هادف الشمري أن الذي جعل إيران تغيّر تكتيكها، وتتحول من تصدير الثورة بالقوة إلى أسلوب الثورة الثقافية هو المقاطعة الغربية لها، فرأت أن سياسات تصدير الثورة لم تعد ذات جدوى، بل ضررها عليها أكبر، فنشأ الاتجاه الأقل تطرفاً والداعي إلى الحوار والتهدئة؛ والذي نشأ منه بروز تيار الرئيس السابق محمد خاتمي؛ خاصة بعد تولي إيران رئاسة المؤتمر الإسلامي.

ونصّت الخطة على أن تصدير الثورة واجب خطير، وعلى رأس الأولويات، وأن حكومة إيران حكومة مذهبية، تأخذ على عاتقها نشر التشيع.

ودعت الخطة الشيعةَ المقيمين خارج إيران إلى السعي لامتلاك السلاح والقوة، وشراء الأراضي والبيوت والشقق، وإيجاد العمل ومتطلبات الحياة وإمكانياتها لأبناء مذهبهم.

كما دعتهم إلى اختراق أجهزة الدولة المدنية والعسكرية على حدٍّ سواء، وإلى زيادة الإنجاب، وإلى الاهتمام بالإعلام والتعليم، ومحاولة السيطرة على الاقتصاد في الدول التي يقيمون بها، وإلى السعي لتوتير العلاقة بين الحكومات السنيّة وعلماء أهل السنة؛ كي يقوم الشيعة بملء الفراغ.

الخُمس:

مال يؤديه الشيعة إلى فقهائهم؛ الذين اعتبروه من الفرائض المهمة، واعتنوا به عناية فائقة، فجعلوا له كتباً وأبواباً مستقلة في كتب الفقه؛ لأنه يشكل مورداً ماليّاً مهمّاً لهم؛ فقالوا: «من منع منه درهماً أو أقل؛ كان مندرجاً في الظالمين لهم (أي: لآل البيت)، والغاصبين لحقهم، بل مَن كان مستحلّاً لذلك كان من الكافرين، ففي الخبر عن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر: ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من أكل من مال اليتيم درهماً، ونحن

اليتيم..».

وقد توسع الشيعة فيما يجب أن يؤدوا فيه خُمس مالهم (٢٠%)؛ حتى جعلوه فيما يفضل عن مؤونة السنة من أرباح التجارات، ومن سائر التكسبات من الصناعات والزراعات، والإيجارات؛ حتى الخياطة والكتابة والنجارة والصيد.. بل ويجب أداء الخمس في الهدية والهبة والجائزة والمال الموصى به!

والخمس بالمعنى الذي ذهب إليه الشيعة لا وجود له في القرآن الكريم ولا في سنة النبي ﷺ، ويبين د. طه الدليمي في كتابه «سياحة في عالم التشيع» أن الشيعة وجدوا اسم الخمس (اسمه فقط) في آية واحدة من كتاب الله؛ فتعلقوا بها ليوهموا السذج بأن ما استحلوه من أموال الناس تحت ذريعة (الخمس) شيء مذكور في القرآن!

أي أنهم استعاروا اللفظ، وأعطوه معنى آخر يختلف تماما عمّا أراده الله في الآية التي تقول: «واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير» [الانفال:٤١].

ومن المعلوم أن يوم الفرقان هو يوم معركة بدر؛ التي التقى فيها جمع المؤمنين بجمع الكافرين، فالخمس -هنا- هو خمس الغنائم، أي: الأموال المغنومة من الكفار المحاربين، وليس أموال المسلمين.

وبحسب الدكتور علي السالوس في كتابه «مع الإثنى عشرية في الأصول واالفروع» فإن الشيعة يقسمون الخمس إلى ستة أسهم: سهم لله ﷻ، وسهم للنبي ﷺ، وسهم لإمام الشيعة.

ويقولون: إن هذه الأسهم الثلاثة هي الآن من نصيب إمامهم الثاني عشر، وهو المهدي المنتظر، أما الأسهم الثلاثة الأخرى فهي من نصيب الأيتام والمساكين وأبناء السبيل؛ بشرط الإيمان (بحسب المفهوم الشيعي للإيمان الذي يقصرونه على أنفسهم دون سواهم!).

وبسبب اعتقاد الشيعة بغيبة إمامهم الثاني عشر منذ ما يقرب من ١٢٠٠ سنة؛ فقد اختلفوا اختلافاً كبيراً في شأن توزيع سهم الإمام أو أسهمه، ومن أقوالهم في ذلك:

١- عدم وجوب دفعه فترة الغيبة.

٢- دفنه في الأرض؛ لاعتقادهم بأنها ستخرج كنوزها للمهدي المنتظر عند ظهوره.

٣- إيداعه والوصية به عند الموت.

٤- وقالوا -أيضاً-: النصف من الخمس الذي للإمام أمره في زمن الغيبة راجع إلى نائبه، أي: إلى الفقيه الشيعي الموصوف عندهم بالمجتهد الجامع للشرائط، فلا بد من إيصاله إليه، أو الدفع إلى المستحقين بإذنه.

الخميس:

يعتقد الشيعة بتأثير الأيام والليالي بالنفع والضر، ومن ذلك: يوم الخميس.

وقد نسبوا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه القول؛ كما في «وسائل الشيعة» للحر العاملي، وفي غيره: «يوم السبت: يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد: يوم غرس وبناء، ويوم الاثنين: يوم سفر وطلب، ويوم الثلاثاء: يوم حرب ودم، ويوم الأربعاء: يوم شؤم يتطير فيه الناس، ويوم الخميس: يوم الدخول على الأمراء وقضاء الحوائج، ويوم الجمعة: يوم خطبة ونكاح».

خميني رهبر:

عبارة تعني: أن «الخميني هو القائد».

ويبين د. موسى الموسوي في كتابه «الثورة البائسة» أن المرجع الشيعي ومرشد الثورة الإيرانية السابق روح الله الخميني أدخل اسمه في أذان الصلوات، وقدّم اسمه حتى على اسم النبي الكريم ﷺ!

وبحسب الموسوي؛ فإن الأذان صار في إيران بعد استلام الخميني للحكم كما يلي:

الله أكبر.. الله أكبر

خميني رهبر..

وفي كتابه «أصول مذهب الشيعة» لا يستبعد الدكتور ناصر القفاري قيام الخميني بذلك، فمؤلفاته تشهد بانتقاصِه من الأنبياء k ، ووضعهم في منزلة أدنى من منزلة أئمة الشيعة وفقهائهم، ومنه هو شخصيّاً؛ ومن ذلك قوله في كتابه «الحكومة الإسلامية»: «إن من ضرورات مذهبنا: أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل..».

ابن سبأ وحركات التغيير (٢)

د. حامد الخليفة - خاص بـ «الراصد»

حين يدعي المفسدون في الأرض أنهم مصلحون! ويُتهم المصلحون بالفساد! فإنّ هذا منتهى الزيف والحيف والخذلان وغياب الوعي، وهذا ما حصل في صدر الإسلام، وفي مفارقات كبرى حين ظهر الماكر الزنديق عبد الله ابن سبأ الهمداني اليهودي اليماني، في وقت كان فيه الصحابة على رأس أمرهم يتولون الأمر بالمعروف وهم أهله، وينهون عن المنكر، وهم مَن أزاله واقتلع أركانه؛ حتى ساد مجتمعات المسلمين الصدق والعدل والأمن والجد، ولم يعد هناك بينهم من هو موضع ريبة في ميدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذلك الميدان المفتوح على مصراعيه لاستقبال العاملين فيه وتشجيعهم، ولم يكن أصحاب النبي ﷺ ممن يعامل الآخرين بالشك والاتهام؛ كما هو حاصل في هذا العصر!

ولم يكن المسلمون في عصر الراشدين يعاقبون على الريبة، ولم يحاسبوا الناس على نواياهم؛ فالكل بريء مكرم مصان؛ حتى يُعلن عن عكس ذلك بمواقفه وأفعاله، ولما كان اليهود خبراء في انتهاز الفرص وبث السموم وتكدير صفو الحياة حتى في أزمنة الأنبياء؛ فإنّ ابن سبأ كان مندوبهم المفوض للقيام بهذه المهمة القذرة، في عصر طهر الحرية وروح الإيثار ونقاء الطوية، فلم يقتحم هذا الزنديق ميدان الغدر والمكر بفجاجة وغلظة، بل لبس مسوح الصالحين، واعتم بخوذة المجاهدين، وتكلم بلسان المتقين، وبرز بين الجهلة والغوغاء والمتنفعين؛ يدعو إلى تصحيح دين سيد المرسلين ﷺ! ينفث في الناس أنهم لم يفهموا أن النّبي سيعود مرة أخرى، مستشهداً بقوله @: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[القصص:٨٥]، ومعلوم أن المعاد هنا المقصود به: العودة إلى مكة فاتحاً عزيزاً؛ لا كما يروج ابن سبأ الذي حرّف ذلك بقوله: «العجب ممن يزعم أن عيسى عليه السلام يرجع؛ ويكذب بأنّ محمداً ﷺ يرجع! فمحمد ﷺ أحق بالرجوع من عيسى عليه السلام»، وابن سبأ يخطط بذلك لوضع عقيدة الرجعة التي تلقاها عنه الرافضة!

ثم انحدر من صومعة التلبيس هذه إلى ميدان الافتراء والبهتان الصريح؛ حين قال: «إنّ لكل نبيّ وصيّاً، وعليّ وصي محمّد ﷺ»؛ فأخذ يبث فرية الوصية فيمن لا علم لهم ولا رويّة! فصدّق بها من لا يبالي عمّن يأخذ دينه، ثم تناول الأمراء والولاة وقادة الفتوح يفتري عليهم الأكاذيب، ويلصق بهم التهم، ويدعو إلى إرهاقهم بالتشويش والشغب والشائعات وكثرة الشبهات، والمطالبة بالتغيير والتبديل! لقطع حبال مودتهم في قلوب عوام المسلمين! ونزع أسباب الاستقرار والثقة في بلادهم.

وهكذا في بقية شبهاته الأخرى التي ورثها بأحقادها وزيفها عمّن كان يمكر بالأنبياء والمرسلين، قال @: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾[المائدة:٧٠]، فابن سبأ -مؤسس مدرسة عداء الصحابة- سار في طريق الفتنة بروية وتؤدة، يتخلل صفوف الغافلين وأهل الأهواء ومحبي الزعامة والتسلط على الآخرين؛ فضلاً عن الموتورين من المنافقين وأذناب اليهود والصليبيين، مستخدماً أدق وسائل التكتيك والتمويه، وأمهر قواعد الحيل في أن لا يصل ما يبثه من

سموم وأحقاد إلى أحد من علماء المسلمين ووجهائهم! فحرص الحرص كله على باطنية المنهج، وتعمية الشبهات، وامتطاء الغوغاء التي لاراية لها ولا هوية ولا هدف، وهو الموتور الحانق على الإسلام وأهله .

وفي هذا المقال أطمح إلى لفت انتباه السادة القراء إلى أنّ المخططات اليهودية المضادة وغيرها لن تتوقف عن محاولات التشويه والطعن بما جاء به النّبي ﷺ، ولمِا أنجزه أصحابه السائرون على هديه من سبق حضاري، وسمو أخلاقي، ورصانة في التعامل الاقتصادي، ورحمة في الأداء العسكري، وانفتاح رائع على المستوى الاجتماعي، فإذا احتمى المسلمون بهدي نبيهم ﷺ سيُبطلون مكر اليهود وحلفائهم وعلى الصعد كافة؛ كما كان ذلك في عصر الرسالة في الجانب الاقتصادي -مثلاً- حين قال النّبي ﷺ للمسلمين: «**هَذَا سُوقُكُمْ، فَلا يُنْتَقَصَنَّ وَلا يُضْرَبَنَّ عَلَيْهِ خَرَاجٌ**»؛ فاستقام سوق المسلمين بقيمه وحريته، وسقط مكر اليهود الاحتكاري والربوي وغيره!

وفي الجانب العسكر والأخلاقي: موقف النبي ﷺ من اليهود الذين اجتمعوا على الغدر به بعد فتح خيبر؛ حين وضعوا السم في الشاة على ملأ منهم، ثم أوكلوا تنفيذ تلك المهمة القذرة لامرأة منهم، وحين جمع النّبي ﷺ اليهود وأعلمهم بما قاموا به كما في «الصحيح»، وأقروا بذلك! عفا عنهم ﷺ؛ فعلمهم درساً في التسامح لا مثيل له، كما لقنهم ﷺ من قبل درساً في الحزم والحسم حين واجه غدرهم يوم الخندق بالسيف؛ حين تعاون بنو قريظة على إبادة المسلمين بالتحالف مع المشركين!

فاليهود بمكرهم وكيدهم وحقدهم هزموا أمام أخلاقيات وقيم المسلمين الرائدة في كل ميادين الحياة، فلم يستطع أعداؤهم المواجهة العلنية؛ لأنهم لن يجدوا من يسمع لهم، فالإسلام قمة في كل ما فيه، ورجاله أئمة في كل الميادين، فكان لا بد لأعداء الإسلام من التعامل بالباطنية والمكر!

وهذا ما انتهجته المنظمة السبئية الرافضية التي بدأ زعيمها في رصد بعض المواقع الموافقة لنشر شكوكه منذ عام ثلاثين للهجرة؛ حيث يرد ذكره في البصرة والكوفة والشام ومصر، لكن ملامح مشروع ابن السوداء التخريبي ظهر واضحاً منذ عام ٣٤ للهجرة، حين باشر بث أباطيله، ونشر أراجيفه، ونصب شباكه، وبث جنوده؛ الذين أفادوا من رفع شعارات ومسميات التغيير والإصلاح!

وهذا ما يسيرون عليه حتى في هذا العصر؛ فهم لا يستطيعون أن يواجهوا الإسلام بقيمه ومعتقداته مواجهة علمية شريفة، لكنهم يتقمصون المنهجية السبئية الباطنية الرافضية، ويستعملون أدواتها في هذه المعركة الحضارية الممتدة عبر القرون.

فها نحن والعالم بأجمعه يرى أخلاقيات الغرب الذي يهيمن على منافذه الأخلاقية اليهود؛ ولا سيما في دعاوى الدفاع عن حقوق الإنسان، وما يسمى بحماية المدنيين، فمن يصدق هذه الدعاوى بعد الذي يحصل عياناً في أفغانستان والعراق وأمثالهما! وما يحصل لأهل السنة في البلاد التي يحكمها الرافضة، وما يحصل في فلسطين وأقصى المسلمين من مآسي متجددة؟!

فهذا يُلقم حجراً لكل من يطعن بقيم المسلمين، ويفضح كل من يروج لمثل هذه المنظومات الأخلاقية العوراء المحفوفة بالنفعية والمصالح؛ التي تُجملها شعارات حقوق الإنسان؛ فتسفك الدماء، وتخُرب البلاد، وتسحق الدول بالفتن أو بالحصار والتجويع؛ من أجل الوصول إلى حقول المعادن ومنابع الثروات، فلم يعد يخفى على أحد أن المنظمات السبئية أو ما انبثق عنها من منظمات مشابهة في هذا العصر تُقدم المنافع على القيم، والبترول على الدماء، وتمزيق البلاد على وحدتها، ونهبها على صيانتها، وإفساد أخلاقها على تقويتها، وتحريض العباد على الفتن بدل المعاونة على نشر الأمن بتوفير العدل وحرية الرأي.

فالقارئ النبيه لا يغيب عنه أنه متى وجدت السبئية أو تلامذتهم الرافضة في أرض وجدت الفتنة، والتزييف، وتهديد الأمن، وكبت الحريات؛ لأن أفكار هذه المنظمات أفكار عدوانية تصاغ بشعارات طائفية عنصرية، وطموحات أنانية تعمل على الاستحواذ على كل شيء، وحرمان الآخر من جميع حقوقه.

وهذا واضح في كل بلد يهيمن عليه اليهود أو الرافضة، لهذا من حق القارئ الريبة بكل راية ترفع في بلاد المسلمين لا تعلن عن هويتها وإطارها وهدفها وقياداتها؛ لأن الباطنية مكرت وغدرت بالمسلمين وأفسدت في الأرض! وقد حسم القرآن الكريم الموقف من هؤلاء في قوله @: ﴿وَلَنْ ترضى عَنكَ اليهود وَلاَ النصارى حتى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[البقرة:١٢٠]، وقوله ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ الناس عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اليهود والذين أَشْرَكُوا﴾[المائدة:٨٢].

ولما كان تلامذتهم ممن زعم الإسلام ورفض القرآن والسنّة شرّاً منهم؛ كان الحذر من الرافضة أكثر وجوباً، وأشد ملازمة؛ ولا سيما في مثل هذه المرحلة التي رفعت فيها شعارات التغيير على إطلاقها من غير تحديد لعقيدة التغيير وهويته وإطاره!

ولما كانت السبئية وربيبتها الرافضية حاقدة على ما حققه المسلمون من نجاحات في ميادين الحياة؛ فإنّ قواعد عملهم تفرض على أتباعها إتقان دور التأقلم مع المستجدات التي تواجه مخططاتهم التخريبية؛ مع القدرة على بث وسائل التأليب والكراهية لقادة الأمة، والعمل على نشر الشك بقدراتهم، ونزع الثقة فيما بينهم وبين المسلمين!

وهذه المعاني لا زالت تمثل أساس الأعمال الهدامة التي تقوم بها المنظمات الرافضية في المجتمعات الإسلامية؛ التي جعلت من ذلك مرتكزات عقائدها، فأصبحت أورادها وأذكارها وطقوسها ومعابدها لا تزيد عن كونها بؤراً آسنة تغذي الشك بعقيدة المسلمين وقرآنهم وسنة نبيهم ﷺ وإنجازات أئمتهم، وتحرض على اجتثاث هويتهم ونسف حضارتهم، وإجازة كل الوسائل اللاأخلاقية؛ من الكذب والإفك والتزييف والتحريف والزور، إلى الغدر والخيانة والتعاون مع العدو، وهذا ما يراه كل متابع لنشاطات الرافضة في بلاد المسلمين على مرّ السنين.

وبحسب القارئ أن يعلم أنّ من ضحايا هذه المنظمات السبئية الرافضية: أمير المؤمنين عمر الفاروق؛ الذي اغتيل في محرابه، وأمير المؤمنين عثمان؛ الذي سالت دماؤه على أوراق مصحفه، وأمير المؤمنين علي؛ الذي اغتيل على باب مسجده، ثم الأميرين طلحة والزبير؛ اللذين طالتهما سهام الغدر الرافضية السبئية، فهؤلاء الأطهار الأبرار الأخيار نصف العشرة المبشرين بالجنة ضحايا المجوس، واليهود، ومنظماتهم الباطنية، ومن يسمع لهم ممن لا زال آمناً مكرماً في بلاد المسلمين!!

والأَمرّ من هذا أن يجد القارئ المؤتمن على ميراث أمته من ما زال بيننا وهو من أبناء جلدتنا يحاور ويناور، ويدفع الحق بالشبهات لتحريف الحقيقة، والإبقاء على جذوة نار الفتنة بين المسلمين؛ من خلال تزييف الوقائع، والتشكيك بالثوابت، فيدفع عن الرافضة المجرمين! وينكر السبئية الماكرين! ويداهن وينافق لورثتهم المعاصرين! ثم يهوي في الباطل منكوساً على رأسه حين ينشر الشك بعدالة الصحابة المكرمين، أو يبث الريبة حول قدرات ونقاء عثمان ذي النورين، أو وفاء وولاء واقتداء ومحبة علي للشيخين رضي الله عنهما!!

فأي بلاء هذا الذي أصيبت به أمّة المسلمين؟! حين يتطوع بعض المحسوبين عليها بتبني شبهات أعدائها الرافضة الموتورين، واليهود الماكرين، ويقوم ببث سمومهم بين أبناء أمة الموحدين! بطراً ورياءً وسمعةً، أو لقاء أجر مهين؛ فأي عاقل لا يتهم من يتجاوز حياض الشيخين؟ أو الصحابة النجباء الصادقين المفلحين؟ كما وصفهم كتاب رب العالمين؟! وأي نبيه نبيل أمين لا يتهم من يُدندن حول «الصحيحين»؟ أو يدعو إلى الثقة بشيء من تراث الباطنية الغادرين؟ أو بسياساتهم الظلامية المحاربة لأنوار وعدل سُنّة سيد المرسلين ﷺ؟!

فالسبئية ونتاجها الفاسد؛ من الرافضة والباطنية والتائهين والمتنفعين، ومن يرتبط بها ممن يتستر عليها، وينزع الحذر من مخاطرها، ومن تلامذتها البائسين، أو يعمل على اتهام أشراف الأمة بجرائمها لتبرئتها! كل هذا يمثل ثماراً مُرّة عفنة مُتَهمة مريبة فاقدة لأي شرعية، وواقعة تحت طائلة المسؤولية التاريخية والأخلاقية عن تأخر الأمة، وتمزيق هويتها، وإضعاف كيانها، واغتيال رموزها، وتحريف ثوابتها، وفتح الأبواب أمام من يدين بعداوتها!

وكل هذا يبين لكل مخلص أمين أنّ هذا الركام الهائل من الموتورين والمجرمين والمشعوذين والمداهنين يمثلون تركة سبئية آسنة، تفتح أبوابها على مصراعيها بنتنها وقذارتها عند كل منعطف يقع على مسار الأمة الحضاري الصحيح؛ فيسربون مشاريعهم الهدامة، وينصبون شراكهم الغدارة بين كتائب الثائرين، وكتابات المنظرين، وخطابات المخلصين، وجراح المجاهدين، ودموع الثكالى والأرامل والأيتام والآباء المكلومين، ثم يباشرون نكء الجراح وتجديد النكبات، وبث الجواسيس، ونشر ثقافة النظر إلى الوراء المظلم، والقفز عن الماضي المشرق، ثم التربص في الزوايا والوهاد لاصطياد الغافلين، ونفث الأحقاد بين الأخوة المتحابين؛ لحرف مسارات التغيير والتصحيح، إلى شراك المخادعين الظالمين، ومن ثم استبدال الشر بما هو شر منه!

وكل هذا يدعو إلى إعمال النظر يميناً وشمالاً، وإعادة النظر شرقاً وغرباً، والتمعن في وجوه الثائرين ورايات المصلحين، ومطابقة ذلك مع ثوابت الأمة وهويتها وحاضرها ومستقبلها؛ فإن كانت هي هي؛ فهذا هو المنشود؛ وإلا فالعودة إلى المسار الصحيح، والتمسك برايات الحق؛ حفاظاً على الهوية، وحماية للأمة المرضية، وما سوى ذلك فإن السبئية الرافضية تأتي حركات التغيير بالغش والخداع من بين يديها ومن خلفها، ومن الأبواب التي لا تحسب لها حساباً، يتضح ذلك في مثل هذه القصة التي تبين مكر اليهود وقدرتهم على التحايل والابتزاز: فيروى أنّ بعض البابوات المخادعين في العصور الوسطى كانوا يبيعون للناس أراضٍ في الجنة! وكانت أسعارها غاليةً جدّاً! والناس مقبلون عليها بشكل كبير، فكان الذي يشتري أرضاً يعتقد أنه ضمن دخول الجنة مهما فعل، ويأخذ صكّاً (عقداً) بذلك، فكان ربح الكنيسة من هذه المبيعات عالياً جدّاً!!

ولكن في يوم من الأيام جاء أحد اليهود إلى البابا، وقال له: أريد شراء النار كاملة! فتعجب البابا من أمر هذا اليهودي، واجتمع مسؤولو الكنيسة كاملة؛ فقرروا بينهم القرار التالي: إنّ أراضي النار أراضٍ كاسدةٌ خاسرة، ولن يأتينا غبي آخر يشتريها! إذاً سنبيعها له بثمن غال، فاشترى اليهودي النار كاملةً من الكنيسة، وأخذ عليها صكّاً مكتوباً يوثق ذلك، وبعدها خرج إلى الناس فقال لهم: إن كنت قد اشتريت النار كاملة؛ فهي ملكي، وقد أغلقتها، ولن يدخلها أي أحد! فما حاجتكم إلى شراء أراضٍ في الجنة؟ وقد ضمنتم عدم دخول النار لأني أغلقتها؟

وعندها لم يشتر أحد أرضاً في الجنة؛ لأنهم ضمنوا عدم دخول النار! فبدأت الكنيسة تخسر أموال تلك التجارة! فعادت واشترت من اليهودي النار التي كانت قد باعتها له، ولكن بأضعاف أضعاف أضعاف سعرها الأصلي!

فهذا مثال يقرب لكل قارئ مكر المدارس الباطنية السبئية الرافضية، وقدرتها على الخداع واستباحتها كل الوسائل للوصول إلى مقاصدها الأنانية الهدامة، وأنها لا تعطي القليل إلا لتأخذ الكثير!

وشواهد الماضي والحاضر ماثلة للعيان كلها تؤكد أنّه لا أمان لمن لا إيمان له، وأن المؤمن « كَيّس حذر»؛ لا بد أن يعلم أين هو؟ وتحت أي راية يسير؟ ومَن حوله؟ وإلى ماذا يدعو؟ وأين السبئية الرافضية وخلاياها النائمة، وأدواتها المنتفعة من حركات التغيير وشعارات الإصلاح والتجديد التي ترفع حوله؟

والسعيد من اتعظ بغيره؛ ولم يكن عظة للآخرين، وقديماً قالوا:

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار



يعرف تاريخ الظواهر السياسية ثلاثة مسارات: فإما أن تواصل الظاهرة تطورها في الاتجاه الذي يريده أصحابها، أو أن تعرف قدراً من التذبذب صعوداً وهبوطاً، أو أن تدخل في مسار تراجعي ينتهي بنهايتها.

و إيران لن تكون بمنأى عن هذا القانون، فهل ستواصل التطور في الاتجاه الذي خطته لنفسها؟ أم أنها سترسم مساراً متعرجاً صعوداً وهبوطاً؟ أم أن الفشل سينتظرها في نهاية الطريق؟

تلك هي المهمة العسيرة؛ كما يقول الدكتور وليد عبد الحي -المتخصص بعلم المستقبليات- في مقدمة دراسته التي نشرها مؤخراً مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف بالجزائر، تحت عنوان: «إيران مستقبل المكانة الدولية والإقليمية ٢٠٢٠».



على مدار أكثر من ستمئة صفحة تتوزع عليها فصول الدراسة الستة؛ يبحر عالم المستقبليات الدولية بالقارئ، ويغوص به في أعماق تاريخ إيران؛ راصداً تحولات بنيتها المجتمعية ونظامها السياسي، ومحدداً انعكاسات تلك التحولات على السلوك السياسي الخارجي الإقليمي والدولي للدولة الإيرانية، وتحديد الاتجاهات الدولية الكبرى لتفاعلات العلاقات الدولية، ومدى انعكاسها سلباً أو إيجاباً على السلوك السياسي الخارجي الإيراني، مستعيناً في ذلك بكل الأدوات العلمية والمنهجية للدراسات المستقبلية.

في الفصل الأول يبحث الإطار التاريخي والبنية المجتمعية في مراحل التشكل التاريخي للكيان السياسي الإيراني، ويجد ثلاثة اتجاهات تؤصل لفهم السمات المركزية في السلوك السياسي الإيراني، وتتمثل في: الاتجاه الجيوستراتيجي للكيان السياسي (تحديد المجال الحيوي، واتجاهات النزوع القومي في السلوك السياسي، وتشكل الشخصية الاجتماعية، واتجاهات الأنتروبولوجيا السياسية).

ففي المرحلة التاريخية الممتدة من الألفية الثانية قبل الميلاد إلى نهاية الدولة الساسانية كان المجال الحيوي الطاغي على الاتجاه الجيوستراتيجي يمتد غرباً نحو العراق وسوريا (صراع مع الأشوريين، وسيطرة على بابل)، ولكنه من ناحية ثانية تعرض لضغط أثينا، وفيما بعد ضغط روماني، وقد وضعت هذه المرحلة أسس الشخصية الإيرانية.

ويخلص في هذه الجزئية إلى فرضية مستقبلية تقوم على أساس أن المرحلة الحالية وخلال العقد القادم تقريباً (حتى ٢٠٢٠) تشير إلى أن إقليمي القوقاز وآسيا الوسطى لن يشكلا نقطة الجذب الجيوستراتيجية المركزية لإيران، أما المنطقة التي تمثل مكسباً كبيراً لها من ناحية، ونقطة تهديد من ناحية أخرى فهي: العراق، وهو ما سيجعله الإقليم الأكثر رخاوة والأكثر جذباً للنزوع الجيوستراتيجي لإيران؛ نظراً لأن قدرة العراق على التهديد ما تزال قائمة في حالة بقاء القوة الأمريكية، ولكن العراق الضعيف حالياً يمثل نقطة إغراء لتوسيع النفوذ في حالة انسحاب القوات الأمريكية، ما يترتب عليه أن العراق سيكون نقطة الجذب في كل الحالات.

ويشكل دخول الإسلام نقطة تحول كبرى في التاريخ الإيراني، وقد استغرق قبول العقيدة الجديدة وقتاً طويلاً امتد لأكثر من خمسة قرون، فبعد انهيار المقاومة العسكرية أمام الفتوحات الإسلامية استمرت جيوب من المقاومة الثقافية لأكثر من أربعة قرون، ورغم تسليمها بتفوق الثقافة الجديدة فإن جذور الثقافة القديمة توارت في اللاوعي الجمعي لتطل بأنماط جديدة تمتزج مع الثقافة الجديدة عبر تشكيلات مختلفة.

وهناك مؤشر له دلالته القوية في البنية الثقافية الإيرانية، وهو: أن الإيرانيين على عكس مناطق أخرى -كمصر وشمال إفريقيا- تقبلوا العقيدة الجديدة؛ لكنهم تشبثوا بلغتهم الفارسية بكل ما تحمله معاني اللغة من مضامين ثقافية، وآليات للتفكير، ويدلل التمسك باللغة ثم الزحف التدريجي على الإدارة، ومساندة التمردات على الدولة المركزية، والعمل على جذب العاصمة الإسلامية قريباً من مناطق نفوذهم إلى جانب تبني المذهب الشيعي؛ على نزوع إيران لتأكيد الذات القومية في إطار الشخصية الإسلامية العامة، وظلت إيران دولةً (أو دولاً) سنية المذهب حتى قيام الدولة الصفوية عام١٥٠١؛ التي جعلت من المذهب الشيعي المذهب الرسمي للدولة.

وفي إطار بنية المجتمع الإيراني ونظراً للعمق التاريخي له؛ فإن الثقافة السياسية شكلت بكيفية أخرى ملامح عديدة منها:

- **مركزية مفهوم البطل في الثقافة السياسية**، وهو في التاريخ الإيراني بطل مغدور، وتتكرر هذه الشخصية في نموذج رستم سياوس، أو آراش، أو الحسين بن علي، أو مصدق.

وإذا غاب هذا البطل انتظره المجتمع، وتبدو فكرة المهدي المنتظر كرؤية لمجتمع منجذب لمخلص يبعثه القدر، وبالتالي فإن سيكولوجية المجتمع الإيراني في بعدها السياسي تشتمل على نظرة تشاؤمية للتاريخ.

- **الصورة السلبية للبيئة الدولية**، وهذه الصورة امتداد لتآمر البيئة الدولية على البطل كتخلي البيئة عن الحسين، وتآمرها على مصدق، والتآمر على الثورة الإيرانية.

- **النزعة البراغماتية في الفكر السياسي الإيراني**، والتي نتجت عن التزاوج الذي حصل بين التاريخ الحديث وبين ثقافة البازار التي تميل إلى الرغبة في الربح السريع والإرث الفكري الديني المتمثل في مبدأ التقية.

أما الفصل الثاني المتعلق بالاقتصاد الإيراني؛ فقد كان للحرب العراقية الإيرانية انعكاسات سلبية عليه، إضافة إلى تداعيات أزمة الرهائن الأمريكيين في السفارة، ولا يزال الاقتصاد الإيراني ضعيفاً؛ ويظهر ذلك من خلال بعض المظاهر السلبية في بنية الاقتصاد الإيراني؛ كالتضخم، والبطالة، وتعثر الحريات الاقتصادية، والفساد، وطغيان البعد الشعبوي على بعض سياسات الدولة الاقتصادية، بالإضافة إلى العقوبات الاقتصادية الدولية ضده.

ومع أن مراقبة إيقاع التغيير يشير إلى قدر من التحسن بتفاوت من قطاع لآخر؛ لكن من غير الممكن التخلص منها بشكل كبير مع نهاية مدة الدراسة، أي حتى عام ٢٠٢٠؛ حتى لو بقي إيقاع التغيير على وتيرته، كما أن اعتماد الاقتصاد الإيراني على النفط يجعل مستقبله أسير هذا المتغير.

وفي الفصل الثالث؛ يستعرض بنية النظام المؤسسية، وعلاقة المؤسسات مع بعضها البعض، والنخب السياسية وعلاقتها بالمجتمع المدني، وعلاقة كل ذلك بآليات صنع القرار والاتجاهات الكبرى للنظام الذي يبدو متأثراً بالنموذج الصيني؛ الذي يقوم على تأخير الإصلاح السياسي لصالح التعجيل ببناء القاعدة الاقتصادية، وغيرها من الاتجاهات، ثم يستخلص السمات الإيجابية للنظام السياسي، والتي تتمثل في التطور التدريجي البطيء ولكنه متواصل، والقدرة على التكيف في مواجهة الأزمات العميقة، و الرضا الشعبي المتوسط الذي لا يشير إلى احتمالات عدم الاستقرار السياسي.

أما السمات السلبية فتتمثل في مستوى الحريات السياسية والاقتصادية والإعلامية المتدني بشكل واضح، وانتشار الفساد بأشكاله المختلفة.

ونظراً لأهمية السياسة الخارجية بالنسبة لموضوع الدراسة؛ حيث ترتبط بها ارتباطاً شديداً جاء الفصل الرابع لدراستها؛ من خلال بحث مؤسساتها وقواعدها؛ من خطوط إستراتيجية ومحددات، وتفاعلاتها مع البيئة المحاذية متمثلة في دول الخليج والدول الآسيوية المجاورة والحدود الشرقية لإيران (باكستان وأفغانستان)، ثم البيئة

الإقليمية متمثلة في أسيا الوسطى والإقليم العربي والدول الكبرى في البيئة الإقليمية (روسيا والصين و الهند)، وأخيراً البيئة الدولية، ويرصد فيها توجهات الرأي العام الإيراني والدولي تجاه قضايا العلاقات الإيرانية الدولية؛ كالموقف العام من الولايات المتحدة الأمريكية، وموضوع البرنامج النووي الإيراني، ثم العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوربي

والفصل الخامس هو بمثابة التمهيد أو مدخل للفصل السادس؛ يحدد فيه الباحث الاتجاهات العامة التي رصدتها الدراسات المستقبلية على الواقع الإيراني في ظل المؤشرات الإقليمية والدولية.

وتتمثل هذه الاتجاهات على المستوى الدولي؛ في تزايد أعباء قيادة النظام الدولي على كاهل الولايات المتحدة الأمريكية، والعولمة، والنزعة إلى الديمقراطية، والتوسع في نصيب القطاع الخاص في الاقتصاد.

أما على المستوى الإقليمي؛ فهناك مناطق الجذب الإستراتيجي لإيران المتمثلة في أسيا الوسطى والقوقاز والعراق؛ إذ من الضروري رؤية الواقع الإيراني الذي درس من كافة النواحي متفاعلاً مع معطيات البيئة الدولية والإقليمية.

وفي الفصل الأخير؛ يطرح سيناريوهات المكانة الإقليمية؛ من خلال تقنيات معتمدة في الدراسات المستقبلية؛ كبناء مصفوفة التأثير المتبادل، وتحديد أكثر المتغيرات تأثيراً في غيرها، وأكثرها تأثراً بغيرها، ووضعها في دولاب مستقبلي منفصل لتتبع التغيرات التي تصيبه خلال مرحلة الدراسة.

وبعدها يعرض السيناريوهات الثلاثة الخاصة بالمكانة الإقليمية لإيران حتى عام ٢٠٢٠؛ بدءاً بالسيناريو الممكن (المتفائل والمتشائم)، ثم السيناريو المعياري، وأخيراً السيناريو المحتمل، وهو الذي يوليه اهتماماً أكبر من حيث التفصيل والتفسير.

ويخلص في الخاتمة إلى أن العراق يشكل نقطة الجذب الاستراتيجي خلال المرحلة القادمة؛ سواء كمنطقة تهديد محتملة، أو كمنطقة واعدة لتوسيع النفوذ الإيراني؛ الذي سيبقى قويّاً ويتزايد، لكنه سيحمل في ثناياه العديد من المشكلات، وأبرزها: تقاسم وظيفي بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران من ناحية، وبروز لحساسيات متصاعدة بين القوى الدينية العراقية من ناحية والإيرانية من ناحية أخرى.

وفيما يتعلق بالمجتمع الإيراني؛ فتظهر الدراسة أنه يحقق تقدماً واضحاً في العديد من المجالات الاجتماعية، غير أن آفة المخدرات و البغاء منتشرة بشكل مقلق، إلى جانب ترافق هذه الظواهر مع تزايد واضح في التفكك الأسري، يغذيه التزايد في نسبة النزوح من الريف إلى المدن.

وتدل الدراسة على أن نسبة التدين في المجتمع الإيراني لا تتناسب مع المساحة الواسعة للطبيعة الدينية في النظام السياسي.

كما يشير إلى أنه حقق (أي النظام) درجة من الاستقرار النسبي، يجعله خارج دائرة الخطر إلى حد ما.

ويؤكد على أن السيناريو المحتمل هو الأرجح طبقاً للدراسة، ويتمثل في: تحسن متواصل للمكانة الإيرانية، وتجنب لأية توترات مع مجموع الدول المحاذية لها، وميل إيران لتصالح تدريجي مع البيئة الدولية، وعدم استخدام البعد الطائفي في سياستها الخارجية، ورغم أن إيران لن تحقق مكانة الدولة المركز خلال المدة حتى عام ٢٠٢٠؛ إلا أنها تضع خطاها على أول الطريق، وستعرف علاقات إيران بآسيا الوسطى تنامياً متواصلاً يعزز المكانة الإقليمية لها في بيئاتها الإقليمية المختلفة.

وسيكون النموذج الصيني -الذي هو مزيج من البراغماتية، وقدر من الأيديولوجيا العقلانية الخلفية- التي يسير على خطاها عدد من صناع القرار السياسيين الرئيسيين في إيران.

وبناء على كل هذا يوصي المؤلف في النهاية الدول العربية بأن الأفضل لها هو: العمل على التكيف مع هذه الوضعية، وأن تعمل بقدر كاف على تحويل تدريجي للعلاقة مع إيران من علاقة صفرية إلى علاقة غير صفرية؛ نظراً لأن الاستمرار في العلاقة الصفرية سينطوي على مخاطر كبيرة للغاية.

تتحدثون عن حسن الجوار؟ هاكم فرصة!

قالوا: «رفضت دولة الإمارات العربية المتحدة تضمين بيان وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي في دورته (١١٨) أي إدانة لإيران؛ بسبب احتلالها جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى، وذلك لخلق المناخ المناسب لنجاح الجهود المشتركة بين البلدين».

«موقع ميدل إيست أونلاين»، ١١/ ٣/ ٢٠١١

قل موتوا بغيضكم!!

قالوا: «أكدت «الجزيرة نت» في تقرير لها: وقوف الشيعة وراء هذا التحرك الفاشل «ثورة حنين»، قائلة أن المعطيات والمعلومات التي وصلتها تؤكد أن من يقف خلف «ثورة حنين» هم ناشطون شيعة في المنطقة الشرقية».

«موقع لجينيات»، ١٠/ ٣/ ٢٠١١

تأييد صوفي مصري لشيعة البحرين!!

قالوا: «رفض الشيخ الطاهر الهاشمي -الأمين العام للطريقة الهاشمية الصوفية- قمع المتظاهرين في البحرين، وتدخل السعودية في القضاء على التظاهرات هناك، وعبر الهاشمي عن حزنه لما يحدث لمسلمي البحرين من قبل النظم القمعية؛ التي تسعى لقتلهم، وتشريد أبنائهم.

وأكد الهاشمي أن ثورة البحرين مشتركة بين السنة والشيعة، وليست شيعية؛ كما يصفها البعض، رافضاً تصريحات الشيخ يوسف القرضاوي حول مظاهرات البحرين؛ التي تدعو لبث الفرقة والفتنة بين المسلمين».

«صحيفة اليوم السابع المصرية»، ٢٢/ ٣/ ٢٠١١

خطوة صحيحة.. ولو أنها متأخرة

قالوا: «داهمت السلطات الكويتية مكاتب قناتيْ: «الكوثر» و«الأنوار» الشيعيتين في منطقتَيْ «سلوى» و«المشرف» بالكويت، وقامت بإغلاقها لمخالفتها نظام الإعلام في الكويت.

وقد تمت إحالة المسؤولين عن مكاتب «الكوثر» و«الأنوار» للنيابة للتحقيق معهم في مخالفة الأنظمة المعمول بها في الكويت، وبث مواد مسيئة لدول الخليج؛ خاصة الكويت والبحرين».

«البينة»، ٣٠/ ٣/ ٢٠١١

حلْها!!

قالوا: «بورزيقه: متقاعد كويتي، عمره ٨٠ سنة، يجلس في احدى المقاهي الشعبية «يبربر - قدو(يشرب شيشة)» ، و«يتحلطم ليل نهار»، ومستذكراً أيام شبابه الذي ولى، و«روحاته للبصرة كل خميس وجمعة».

اتصل بي هاتفيّاً يوم أمس، وقال -مازحاً-: أبو عبد الرحمن! عندي لكم حل علشان مشكلة البحرين؟

سألته: خير عمي بورزيقه؟ حليتها؟ !

فأجاب: نعم؛ شيعة دول الخليج كلهم يروحون إيران، وسنة إيران يجون دول الخليج!! وبهذا تنتهي المشكلة، ويصير ماكو

أحد مضطهد؛ لا السني في إيران، ولا الشيعي في دول مجلس التعاون»!!

فؤاد الهاشم، «الوطن الكويتية»، ١٩/ ٣/ ٢٠١١

خوش تعليم للصلاة!!

قالوا: «المديرة أمل بهرامي ومساعدتها حبيبة إسماعيل رتبتا لمحاضرة للشيخ عبد الرضا معاش -معمم من أصول إيرانية، يحمل جواز سفر عراقيّاً، ويبلغ من العمر ٤١- ليقدم محاضرة: «كيف تؤدي الصلاة؟» لطالبات مدرسة ثانوية خالدة بنت الأسود للبنات، في منطقة سلوى، لكنه تطرق في إجاباته عن الأسئلة إلى العلاقات الجنسية قبل وبعد الزواج، وعن زواج المتعة وشروطه وأهدافه وكيف يتم!! واللطم في مناسبة عاشوراء.

حين عوتبت مديرة المدرسة على ذلك؛ أجابت بأنها لا ترى في الأمر شيئاً، وأنه ليس به عيب أو خطأ!!

ولكن بتوجيه السؤال بصيغة أخرى إلى المديرة، وكيف يكون الحديث في الأمور الجنسية والعلاقات المحرمة وزواج المتعة وطرقه وأساليبه أمراً عاديّاً حين يطرحه رجل على طلبات في سن المراهقة؛ ما قد يخل في مفاهيمهن؟!! لجأت المديرة الى الصمت!

لدى تقصي الأمر في المنطقة التعليمية؛ تبين للجهات الأمنية أن مديرة المنطقة لم يكن لها علم بهذا النشاط وهذه المحاضرة! ما دعا إلى التحقيق الداخلي في المنطقة؛ فتبين أن الموافقة على المحاضرة صدرت عن إدارة الأنشطة المدرسية؛ التي يترأسها المراقب محمود دشتي!!».

«صحف الوطن - السياسة»، ٢٧/ ٣/ ٢٠١١

إبحث عن المستفيد؟

قالوا: «أحبطت شرطة دبي محاولة تهريب شحنة أسلحة شخصية، عبارة عن مسدسات متنوعة الأشكال والأحجام ذات عيارات مختلفة، بالإضافة إلى مخازن طلقات إضافية للأسلحة المهربة ومعداتها، كانت في طريقها من تركيا إلى اليمن، شملت ١٦ ألف قطعة سلاح إلى اليمن، تقدر قيمتها بـ ١٦ مليون درهم».

«موقع CNN»، ٢٤/ ٣/ ٢٠١١

البهائية في مصر

قالوا: «البهائيين لم يستطعوا الاحتفال بعيد النيروز الموافق ٢١ من مارس بشكل علني عام في مصر؛ بسبب الأحداث، واقتصرت الاحتفالات على لقاءات أسرية داخل منازلهم، دون أن يذهبوا لحديقة الميرلاند بمصر الجديدة التى يحتفلون فيها سنويّاً.

عيد النيروز هو عيد رأس السنة البهائية؛ حيث تستند السنة البهائية إلى السنة الشمسية؛ فتتكون من ١٩ شهراً، كلًّا منها ١٩ يوماً (مجموعها٣٦١ يوم)، أما الأربع أو الخمسة أيام الباقية فهي أعياد أيام البهاء التي تقع ما بين الشهر الثامن عشر والتاسع عشر (شهر الصوم)؛ الذي ينتهى بعيد النيروز».

«صحيفة اليوم السابع»، ٢١/ ٣/ ٢٠١١

أحلام يقظة!

قالوا: «القرآنيين في مصر ليس لديهم أي مطامع سياسية أو نفعية، ولا يرغبون في اعتلاء المناصب، فكرهم بدأ منذ ٣٠ عاماً بمنهج إصلاحي، ويسهم الآن فى تحجيم الأفكار السلفية وكسر حدتها.

ومن الممكن أن يتجهوا لإنشاء حزب بعد أن ينتهي جيل الرواد؛ ليبدأوا مرحلة «جيل الحوار»، لتنتقل من مرحلة الفكر إلى الممارسة السياسية الديمقراطية».

أحمد صبحى منصور -زعيم القرآنيين-، «موقع مركز الدين والسياسة»

إسرائيل تعتبر سقوط القذافي «خطراً استراتيجياً»

«الشرق الأوسط» ٢٠١١/٣/١١

اعتبرت المصادر العسكرية الإسرائيلية أن سقوط نظام حكم العقيد القذافي يمثل «خطراً استراتيجيّاً» يهدد بشكل خاص الجبهة الجنوبية في إسرائيل.

ونقلت إذاعة الجيش الإسرائيلي صباح أمس عن المصادر قولها: إن ليبيا حسنت علاقاتها مع إسرائيل بشكل كبير في الآونة الأخيرة، منوهة إلى أن وزير الخارجية الإسرائيلي أفيغدور ليبرمان حرص على كيل المديح للقذافي خلال جلسات الحكومة والمجلس الأمني المصغر؛ حيث كان من ضمن ما كان يقوله: إن القذافي «زعيم ذو مصداقية».

وأشارت المصادر إلى أن علاقات سرية ربطت بين القذافي وإسرائيل في الأعوام الماضية؛ سيما بعد قراره بالتخلص من الأسلحة غير التقليدية التي كانت بحوزته، مشيدة بالموقف الصارم الذي يتخذه القذافي من الحركات الإسلامية المتطرفة.

وأشارت المصادر إلى أن إسرائيل أسهمت في جهود ليبية فرنسية لصد المد الإسلامي في المنطقة العربية.

يذكر أن السلطات الليبية أطلقت عميلاً للموساد ألقي القبض عليه في ليبيا في أغسطس / آب من العام الماضي؛ بعد اعتقال دام خمسة أشهر، وذكرت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية في حينه أنه قد جرى إطلاق سراحه عبر جهود بذلها ليبرمان؛ من خلال علاقات تربطه بالمليارديير اليهودي النمساوي مارتن شلاف؛ الذي تربطه هو الآخر علاقات مع القذافي، وبعض القيادات في ليبيا.

وأضافت المصادر: أن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية تعيد قراءة الواقع الجديد في ظل التحولات الاستراتيجية على الحدود الجنوبية لإسرائيل؛ والتي بدأت بسقوط مبارك، ولا يعرف نهايتها حتى الآن!

وكانت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين قد اتهمت العقيد معمر القذافي ونظامه بتسهيل عملية اغتيال مؤسسها وأمينها العام السابق الدكتور فتحي الشقاقي، في جزيرة مالطا، قبل أكثر من ١٥ عاماً، على يد الموساد.

القذافي كما عرفته.. ارتداده على المسلمين!!

حسن خليل حسين، «السبيل الأردنية» ٢٠١١/٣/١٦

في بداية الثورة كان معمر القذافي يكثر من التجول في المدن والأرياف، وقد رأيته عدة مرات وهو في سيارة «بيجو ٤٠٥» عادية، وبجواره واحد أو اثنين من أعضاء القيادة؛ خاصة الرائد محمد نجم والرائد مصطفى الخروبي، وذلك في شوارع بنغازي، وقد يتوقف في السوق ويصافح المارّة بأسلوب ودود وابتسامة رقيقة.

وكان يغلب على مجلس قيادة الثورة التدين وطيبة الخلق ماعدا اثنين هما: الرائد عمر المحيشي؛ اتصف بالجلافة والكبرياء في محكمة الثورة؛ وتحديداً مع ولي عهد المملكة الحسن رضا / ؛ وهو الذي هرب بعد عامين إلى مصر، ونشر من إذاعة صوت العرب قصة الرسالة التي وصلت إلى القيادة من أمه اليهودية المقيمة في إيطاليا، والله أعلم بصدق تلك الرواية، وقد قايض القذافي النظام في مصر عليه مقابل مبلغ مالي، وقام بتصفيته بالأسيد.

وأما الثاني؛ فكان الرائد الخويلدي الحميدي -وزير الداخلية-؛ وكان سيئ التعامل مع الفلسطينيين العاملين في ليبيا، ولا زال إلى يومنا هذا وفيّاً للقذافي يدافع عنه في أيامه الأخيرة ضد ثورة السابع عشر من فبراير الحالية ٢٠١١م.

أما الرائد مصطفى الخروبي؛ فهو الأكثر قرباً من القذافي، ويتصف بالرعونة، ويخدم قائده بإخلاص وتفان شديدين!! وهو يقوم بدور ثانوي منذ أكثر من عشرين عاماً؛ حيث يستقبل ضيوف العقيد ويودعهم، ويهتم بخدماتهم.

بينما كان محمد المقريف وبشير هوادي وعبد المنعم الهوني ومختار القروي الأكثر استقامةً وطيبةً وتديناً وقرباً من الجماهير.

أما الرائد عبد السلام جلود؛ فقد ظهرت له صور وهو مخمور..

وكان معمر يجلس مع طلاب جامعة بنغازي (قاريونس)؛ لدرجة أنه جلس ذات مرة على إحدى درجات السلم، وراح يتبادل الحديث والنكات مع الطلاب الذين انتقدوا أمامه مسلكيات جلود والمحيشي؛ فضحك وقال لزميله: هيا دافعوا عن أنفسكم!

وبعد نقطة التحول إلى النقيض ليصاب بجنون العظمة بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م وخلافاته مع الرئيس السادات؛ الذي قام بقصفه في قاعدة طبرق، وهاجم قواته قرب الحدود المصرية، بعد ذلك تحول إلى رجل غريب، وهاجم جماعة الإخوان المسلمين، واعتقل قادتهم والكثير من أتباعهم، كما هاجم أنصار حزب التحرير الإسلامي، وأعدم بعض شيوخهم أمام الجماهير، فتمرد عليه أكثر من ثلاثين ضابطاً وعلى رأسهم: صديقه بشير هوادي -رئيس الاتحاد الاشتراكي-، وتمكن أحد الضباط من إصابته في مؤخرته؛ ليظل متأثراً بجراحة لعدة شهور، لكنه قام بإعدام الثلاثين ضابطاً من أعضاء تنظيمه «الضباط الوحدويون الأحرار»، بينما لجأ بشير هوادي إلى سرت؛ حيث احتمى بوالد معمر.

والأمر الغريب في كيفية تصفية أولئك الضباط هو: أنه كلف أصدقاءهم بهذه المهمة، فكل ضابط يقوم أحد أعز أصدقائه بتنفيذ مهمة إعدامه حتى لا ينكر الأصدقاء بالانتقام لأحبائهم!.. إنه تصرف شيطاني حقود؛ لا يقيم للروح البشرية أي احترام أو قدسية!!

ثم تجرأ على قدسية القرآن الكريم! حين صلى بنا إماماً في صلاة المغرب بمسجد محلي صغير بشاطئ جليانه؛ إذ قرأ سورة الإخلاص دون كلمة ﴿قُلْ﴾؛ حيث قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١]، وكرر المصلون كلمة (سبحان الله!) ولم يستجب، وبعد الصلاة سألنا لماذا نعترض؟ فلما ذكّرناه بنسيانه كلمة ﴿قُلْ﴾! أجاب بلهجة ساخرة متعالية: «أنتم مغفلون وجهلة! الله @ خاطب محمداً ﷺ بذلك، وقد قال لنا هو ذلك، ولماذا نحن نستخدم (قل)؟! إنها خاصة بمحمد، ونحن علينا أن نبدأ بالمطلوب قوله وهو: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.. وكذلك: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق:١].. وكذلك: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس:١].. إلخ، وخاطب علماء الحديث من لبنان بنفس الحديث، وقام رجاله بإهانة من خاطبه وناقشه حول الموضوع.

وفي ثانوية بأجدابيا للبنين سأل الطلاب معلم التربية الدينية أن يشرح لهم الكتاب الأخضر، فقال لهم: اسألوا معلم الاجتماعيات أو مؤلف الكتاب!! فأمر القذافي بإعدامه في فناء المدرسة شنقاً، وهو شيخ أزهري فلسطيني / !!

وصار يتخوف من الاغتيال؛ فكان يركب سيارة مرسيدس مصفحة، أو سيارة أمريكية مصفحة مع ضيوفه أو في تحركاته، ولم يعد كما كان في البدايات يتحرك بحرية وبساطة، وصار يطلب أن يخاطب بصفة القائد المعلم أو المفكر، ولم يعد يعجبه لقب «الأمين على القومية العربية»؛ فقد كبر الزعيم ولم يعد نائباً لجمال عبدالناصر...

ولقد لجأ إلى إلقاء كلماته ذات الأفكار الغريبة في مساجد صغيرة بعيدة عن وسط المدن أو في مدارس للبنات؛ ليتسلى في نهايتها برقص الطالبات والتصفيق له والتغني بأمجاده! ودائماً كان يقول: أنا قائد ومفكر وزعيم..

ولست أدري كيف يتفق هذا مع سعادته حين لقبه الأفارقة بـ «ملك ملوك إفريقية»!!

الإسرائيليون يُصلّون لبقاء الأسد بالحكم

محمد عطية، «المصريون»، ٢٠١١/٣/٣٠ (باختصار)

قالت تقارير صحفية إسرائيلية: إن حالة من القلق تنتاب الأوساط الإسرائيلية جراء احتمال سقوط نظام الرئيس السوري بشار الأسد.

مضيفة: أن الكثيرين في تل أبيب يصلّون من قلوبهم للرب بأن

يحفظ سلامة النظام السوري الذي لم يحارب إسرائيل منذ عام ١٩٧٣؛ رغم «شعاراته» المستمرة وعدائه «الظاهر» لها!

وكان الأسد أكد في مقابلة مع صحيفة «وول ستريت جورنال» بعد قيام الثورة الشعبية في مصر؛ التي أطاحت بالرئيس حسني مبارك بأن سوريا ليست مصر، مستبعداً قيام ثورة مماثلة في بلاده، مبرراً ذلك بأن سوريا تقف في محور الممانعة والدول المعارضة لإسرائيل والولايات المتحدة.

لكن صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية سخرت من كلام الأسد، في تقرير عنونته: «الأسد ملك إسرائيل»! قالت: إن النظام الحاكم في سوريا يعتمد على فكرة حكم الأقلية على الأغلبية القبلية، واستخدام وسائل القمع والعنف وبكل قسوة تجاه تلك الأغلبية؛ مما يؤدي في النهاية إلى حمامات من الدماء، لافتة إلى أن الإسرائيليين ينظرون لنظام الأسد -من وجهة نظر مصالحهم- أنه مثله مثل الأب محبوباً، ويستحق بالفعل لقب: «ملك إسرائيل»!

وأضافت: أنه بالرغم من تصريحات الأسد الأب والابن المعادية لإسرائيل لكن هذه التصريحات لم تكن إلا «شعارات» خالية من المضمون، وتم استخدامها لهدف واحد فقط؛ كشهادة ضمان وصمام أمان ضد أي مطلب شعبي سوري لتحقيق حرية التعبير والديمقراطية.

وأشارت إلى أن النظام السوري المتشدق بـ«عدائه» لإسرائيل لم يُسمع الأخيرة؛ ولو «صيحة خافتة واحدة» على الحدود بهضبة الجولان منذ احتلتها إسرائيل في عام ١٩٦٧.

ومضت الصحيفة في سخريتها من نظام الأسد، قائلة: إن هذا النظام «المعارض» لإسرائيل لا يزال مستعدّاً لمحاربة إسرائيل بآخر قطرة من دم آخر «لبناني» لا «سوري»!

موضحة أن السوريين لا يكلفون أنفسهم محاربة عدوهم الجنوبي ما دام اللبنانيون مستعدين للموت بدلاً منهم.

وذكرت أنه مؤخراً ترددت في إسرائيل أصوات كثيرة تتمنى استمرار نظام بشار الأسد في دمشق؛ فكثيرون يخشون من نهاية هذا النظام، حتى أن الصلوات تنطلق من قلوب الإسرائيليين في الخفاء كي يحفظ الرب سلامة النظام الحاكم بسوريا!

وخلصت الصحيفة في تقريرها إلى أن الإسرائيليين بلا استثناء يحبون الحكام العرب الطغاة والديكتاتوريين، لكن أكثر ديكتاتور أحبه الإسرائيليون كان حافظ الأسد الرئيس السوري السابق، وحينما توفي وورث نجله الحكم القمعي بدمشق انتقلت محبة «الديكتاتور الأب للطاغية الابن في قلوب الإسرائيليين».

التوزيع الطائفي بسوريا..
أقلية علوية تحكم أكثرية سُنية

«العربية. نت»، ٢٠١١/٣/٢٦

رغم عدم توافر مصادر موثوقة ومعتمدة تحدد بشكل واضح معالم التركيبة السكانية في سوريا؛ إلا أن المعلومات العامة تشير إلى وجود عرب وأكراد وشركس وأرمن ودوداغستان وتركمان وشيشان وغيرهم.

أما من ناحية الأديان والطوائف؛ فتوجد أغلبية مسلمة من السُّنة والعلويين والشيعة، والأغلبية هم السُّنة ومسيحيون ودروز وأقلية يهودية.

ويعود سبب هذا التنوع السكاني الشديد إلى اعتبار سوريا من أكثر المناطق حيوية في التاريخ القديم، ومن أقدم الأراضي التي تم اكتشاف آثار الإنسان فيها من عصور ما قبل التاريخ؛ إذ لايزال يوجد في معلولاً قرب دمشق من يتكلم الآرامية التي تحدث بها المسيح، كما كانت سوريا الأرض التي عبرها أبو الأنبياء إبراهيم قبل ظهور اليهودية بخمسة قرون، وكانت المسرح الرئيسي لمواجهات كبرى لم تنقطع لقرون كثيرة بين الإمبراطوريات القديمة من الفينيقيين والآشوريين والإغريق والفرس والرومان والفراعنة، ثم كانت بعد استقرار الإسلام فيها مسرحاً رئيسيّاً لمواجهة الغزوات المغولية والصليبية.

جميع ذلك بالإضافة إلى تيارات الهجرات التاريخية يفسر تعدد الانتماءات، وإن بقي العرب المسلمون السُّنة يشكلون الأكثرية الكبرى للسكان منذ ظهور الإسلام إلى اليوم؛ بحسب ما تذكر صحيفة «الشرق الأوسط»، في تقرير نشرته السبت ٢٦/ ٣/ ٢٠١١.

وعلى وجه التقريب، وبحسب الأرقام المتوافرة؛ فإن سوريا التي يقطنها نحو ٢٠ مليون نسمة، فيها:

٧٠٪ من السّنة (العرب)، ٨ إلى ٩٪ من العلويين (العرب)، ٨٪ من السنة (الأكراد)، ٨٪ من المسيحيين (العرب الأرثوذكس في الدرجة الأولى)، ٢ إلى ٣٪ من الدروز (العرب)، ١٪ من الشيعة (العرب وسواهم)، أقل من ١٪ من السنة (الشركس)، أقل من ١٪ من أقليات أخرى؛ كاليزيدية، والإسماعيلية، ومنها عدة آلاف من اليهود.

لكن لا يمكن القول: إن هناك مناطق خاصة بفئة معينة من السكان، إذ يغلب على سوريا مشهد الاختلاط والتمازج السكاني؛ الذي يغلب عليه الطابع الإسلامي السني بحكم كونهم الأغلبية، ومع ذلك يمكن القول: إن العلويين تاريخيّاً تركزوا في قرى الساحل السوري وبعض مناطق الداخل والقريبة من الداخل، بينما تركزت الأغلبية السُّنية في المحافظات الرئيسية (دمشق، حمص، حماة، حلب، الرقة، درعا)، في حين أن الشيعة غالبيتهم في دمشق، وحلب، والرقة.

أما الدروز؛ فالكثافة الأعلى لهم في المنطقة الجنوبية بالجبل محافظة السويداء.

والمسيحيون منتشرون في كل أنحاء البلاد، وفي بعض المدن يتركزون في أحياء معينة، أو في قرى بأكملها.

ويتركز الشركس في دمشق.

في حين يتركز الأرمن بالدرجة الأولى في حلب، وريف اللاذقية، والقامشلي في شمال شرقي البلاد.

أما الأكراد (هناك من يقدر عددهم بمليون كردي)؛ فيتركزون في المناطق الشمالية الشرقية، محافظة الحسكة، والقامشلي، والشمالية في ريف حلب قريباً من الحدود مع تركيا.

أما محافظة دير الزور ومدينة البوكمال والقرى القريبة من الحدود مع العراق؛ فغالبيتها من العرب السنة.

ويشعر الأكراد السوريون بغبن كبير لعدم الاعتراف الرسمي بهم؛ خاصة بعد صدور قانون الإحصاء لعام ١٩٦٢ الذي جرّد عدداً كبيراً من الجنسية.

كما أن نظام حكم حزب البعث -الذي فرض العلمانية- كان ضد إظهار هذا التنوع، وحرص خلال حكمه لسوريا لأكثر من ٤٠ عاماً أن لا يكون هناك إشارة لأي تمايز ديني أو عرقي؛ وذلك على الرغم من اعتبار سوريا دولة ذات طابع إسلامي.

وكانت مطالبات الأكراد تتركز دائماً على حق الاعتراف بهم، ومنحهم الجنسية السورية، والسماح للثقافة الكردية لغة وعادات بالنمو على الخريطة الوطنية.

وكان لافتاً أن توجه مستشارة الرئيس السوري بثينة شعبان خلال مؤتمرها الصحافي الذي عقدته يوم الخميس الماضي الحديث للأكراد، وعيد النيروز، واعتباره عيداً لكل السوريين، موجهة تهنئة للأكراد بهذه المناسبة؛ ليكون أول كلام رسمي سوري يشير إلى هذا العيد، ويعترف علانية بالثقافة الكردية كأحد مكونات الثقافة السورية!

خطاب الأسد.. إسقاط للقناع، وعودة للوراء

ياسر سعد، «المركز الإعلامي لجماعة الإخوان المسلمين السوريين»

بعد أن قدمت السلطات السورية لخطاب بشار الأسد -والذي وصفه نائبه فاروق الشرع بأنه يحمل أخبار طيبة- جاء الخطاب مخيباً لآمال من تفاءل بهذا النظام، وبأن فيه شيء من خير وبقايا من وطنية.

خطاب الأسد أعادنا للوراء نحو نصف قرن؛ بهتافات بالية، وبمجلس شعب مترهل، وقد ألقى أعضائه -وغالبيتهم من كبار السن- بإنسانيتهم خارج مبناه، وهم يتصرفون كالدمى؛ يصفقون، ويهتفون، ويلقون الشعر، ويعبرون عن هيامهم بالقائد، فيما الرجل يتحدث كما حال والده وصحبه في ستينيات القرن الماضي عن مؤامرات خارجية تستهدف الصمود والتصدي!

الخطاب -والذي خلا من أية لهجة تصالحية، أو حتى الإعلان عن خطوات إصلاحية- **لم يكن بالنسبة لي مفاجئاً بأي صورة!** فهذا النظام كان وسيبقى عاجزاً تماماً عن اتخاذ أي إصلاحيات جدية وفي أي اتجاه؛ ذلك لأن الفساد الذي يمثله النظام لا يحتمل وبأي صورة أحزاباً معارضة، أو حريات في التعبير، أو التظاهر.

هل يستطيع أو يملك بشار الأسد -والذي اختزل قضايا

المواطن السوري أو ٩٩% منها -بحسب تعبيره- في قضايا حياتية- أن يجيب معارض أو سائل عن المليارات التي تمتلكها عائلته، وعن استثمارات رامي مخلوف؛ والذي هيمن على قطاعات عديدة مثل: الاتصالات، والطيران الاقتصادي وغيرهم؟

وهل يتحمل النظام استفسار عن مداخيل الدولة من النفط، وأين تذهب؟

النظام السوري أعجز من أن يواجه حرية حقيقة، وأضعف من أن يتحمل انتفاضة وطنية، وبالتالي فإن الهروب من الحقائق والالتفاف عليها بأحاديث فلسفية فارغة، أو الزعم بالتآمر الخارجي لن يغير من حقيقة أن هذا النظام وصل إلى مرحلة من التكلس والترهل؛ والتي لا يجدي معها غير الرحيل والاستبدال.

لقد صادر الأسد الأب وزمرته من انقلابي ١٩٦٣ حرية الشعب السوري وكرامته تحت مسمى: تحرير فلسطين، ثم ضيعت -أو بيعت- الجولان؛ كما تقول شعارات أطفال درعا- وهو وزير للدفاع، وها هو الأسد الصغير يريد لمصادرة حرية وكرامة المواطن السوري أن تستمر، تحت لافتة مقاومة مزعومة تستخدم كمسجد ضرار وبطريقة فجة ومستهلكة!

إن المقاومة ليست شعارات ويافطات ترفع، بل هي منهج وسبيل في السلوك والتضحية، وهي لا تكون لقيادة فاسدة تتلقى الإهانات والضربات من الدولة العبرية ومن عقود، وتبتلعها تحت ذرائع واهية وسخيفة، مثل: نمتلك حق الرد! ولن نستجر لمعارك لم نحدد موعدها!

هل من المقاومة بشيء أن يفتخر بشار في مقابلاته مع أعضاء الكونغرس الأمريكي بعد أحداث سبتمبر بأن لنظامه السبق في محاربة «الإرهاب» الإسلامي؟

ولماذا أعرب بشار عن قلقه من تأثير تدهور العلاقات التركية- الإسرائيلية على مفاوضات سلامه مع المحتل بعد المجزرة البحرية في البحر المتوسط؟

وإذا كان نظام سورية يدعم المقاومة في لبنان وفلسطين؛ فلماذا لا يفتح الباب للمقاومة الشعبية لتحرير الجولان؟

ثم أليس من الدجل السياسي أن يتباهى النظام بدعم حماس؛ والتي تعلن في ميثاقها أنها جزء من حركة الإخوان المسلمين، فيما قانون ٤٩ لعام ١٩٨٠؛ والذي ما زال ساري المفعول يحكم بالإعدام على من ينتمي لتلك الجماعة من السوريين؟!

لقد بدا بشار في خطابه متخبطاً ومرهقاً وهو يرى الشعب السوري وقد كسر حاجز الخوف؛ رغم قمع النظام وإرهابه ومجازره؛ والتي كان أخرها ما حدث في صيف ٢٠٠٨ في سجن صيدنايا؛ من قتل للسجناء، ورغم قوانين الطوارئ والعقوبات القاسية؛ والتي تنزل بالناشطين والحقوقيين تحت تهم سخيفة وهزلية!! فلقد سجن أكثر من محامي بعد اتهامهم بنشر أخبار كاذبة توهن من نفسية الأمة؛ لمجرد إعلانهم أن موكليهم تعرضوا للتعذيب.

الأسد كشف عن ضعف في حسه الإنساني؛ عندما أراد أن يظهر نوعاً من الثقة الخادعة بإلقائه نكت تضحك مجلس شعبه! فبشار لم يكتف بتجاهله لضحايا درعا واللاذقية والصنمين وغيرهم، وعدم الترحم عليهم، بل إنه والحاضرين غرقوا في الضحك فيما بيوتات مئات السوريين في حالة من العزاء والحداد جراء وحشية أمن النظام في رده على المظاهرات السلمية.

لقد زعم الأسد إنه في السياسة الداخلية «البوصلة بالنسبة لنا هو المواطن»، فكيف يتواصل مع هذا المواطن المسكين؟ أعن طريقة استفتاءات رئاسية هزلية تتجاوز في كل مرة ٩٧%، أم عن طريق مجلس شعب ليس له وظيفة سوى التصفيق والتطبيل؟ وأي مجلس للشعب هذا والذي لا يوجد فيه من يستفسر عن دماء وضحايا الأحداث الأخيرة أو عن أخطاء ارتكبت اعترف بها بشار من قبيل التواضع المتكلف؟

المواطن حين خرج في مظاهرات سلمية تطالب بالإصلاحات جوبه بالعنف، والقتل، وتهم النظام الجديدة القديمة بالتخوين والمؤامرات.

حديث الأسد عن أن تأخر الإصلاحات كان سببه الأحداث المتلاحقة في المنطقة زائف، فبعد عام من حكم بشار وتعهده بالانفتاح والإصلاح تم اعتقال الناشطين والحقوقيين، وزجهم في غياهب

السجن؛ كان ذلك قبل أحداث سبتمبر والأزمة العراقية.

ثم إن الأزمات والتحديات الخارجية تستلزم إطلاق الحريات، والمشاركة السياسية لتدعيم الجبهة الداخلية، وليس كما يفعل النظام بشن المزيد من القمع والاضطهاد، تحت تلك المسميات والذرائع!

كمال الهلباوي من أشد المعجبين بخامنئي ونجاد

«الشرق الأوسط»، ٢٠١١/٣/١٩ (باختصار)

قال الدكتور كمال الهلباوي -المتحدث السابق باسم «إخوان أوروبا»، والتنظيم العالمي لجماعة الإخوان المسلمين في الغرب-: إنه سافر إلى طهران مرتين في فبراير/ شباط الماضي: أولاهما للمشاركة في أعمال مؤتمر «الدعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية»، بدعوة خاصة من الشيخ محمد علي تسخيري -نائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين-، والثانية لإلقاء محاضرة في جامعة طهران حول «مستقبل الإخوان المسلمين».

وأضاف الهلباوي -مؤسس «الرابطة الإسلامية» في بريطانيا- لـ «الشرق الأوسط» أمس، رداً على ظهور أشرطة فيديو له صورت في طهران بحضرة الإمام خامنئي وأحمدي نجاد -رئيس الجمهورية- أنه: «من أشد المعجبين بشخصيتيهما؛ لبساطتهما، وأمانتهما، وشجاعتهما؛ لأن ما يقولانه في طهران يقولانه -أيضاً- في نيويورك، أي ما يتحدثان به في الداخل يقولانه -أيضاً- في الخارج، مع الأعداء والأحباب على حد سواء»، وشدد على أن الشجاعة التي يتحلى بها قادة إيران خاصة قائد الثورة خامنئي يضرب بها المثل.

لكن جماعة الإخوان المسلمين في مصر نفت مسؤوليتها عن هذه التصريحات، وقالت: إن الهلباوي هو باحث ومفكر لا يمثل إلا نفسه، ولا يتحدث باسم الجماعة، وأكدت أنها ترفض أي تدخل خارجي في الشؤون المصرية.

وأوضح الهلباوي -عضو لجنة الشؤون الخارجية بالمجلس الإسلامي الأوروبي-: «ذهبت وشاركت في المؤتمر لمدة ثلاثة أيام كباحث ودارس أكاديمي، وكأمين عام منتدى الوحدة الإسلامية في بريطانيا، **ولم أكن أمثل الإخوان المسلمين في الداخل أو الخارج، ولا أزعم أنني أمثلهم منذ عام ١٩٩٧**؛ وهي سنة استقالتي من مكتب إرشاد (الإخوان)، ومن منصب المتحدث الرسمي باسم (الإخوان) في الغرب».

وأوضح الهلباوي بقوله: «لقد كان المؤتمر حاشداً، وحضره ٦٠٠ عالم إسلامي من جميع أنحاء العالم، ومن ممثلي القيادات الإسلامية، ومن جنوب أفريقيا حتى أميركا، ومن دول أوروبا الغربية حتى اليابان، وكانت الموضوعات التي بحثها المشاركون متنوعة، وفي جميع الاتجاهات، وتهدف إلى التقريب بين المذاهب، وتدعو إلى الوحدة الإسلامية».

وعرضت إحدى القنوات الفضائية أول من أمس تصريحات مسجلة للدكتور كمال الهلباوي، قال فيها: «إن الجمهورية الإسلامية في إيران وقياداتها الإمامين الخميني وخامنئي؛ تعد نموذجاً للوقوف أمام الهيمنة الغربية، ونموذجاً للأمة الإسلامية لكي تنهض».

وأكد: «إننا تعلمنا من الإمام الخميني كما تعلمنا من الإمام حسن البنا وسيد قطب -رحمة الله عليهم-».

وتمنى الهلباوي أن تكون «الجمهورية الإسلامية في إيران نموذج يحتذى به في كل شيء؛ في العدل، وفي جمع السنة والشيعة، وفي حقوق الإنسان، واحترام كل البشرية وقيادتها».

وقال: «إنه ليست هناك أسرار؛ فقد ذهبت إلى طهران -أيضاً- من قبل للمشاركة في مؤتمر فكري إسلامي عام ٢٠٠٩».

وحول كلماته التي ألقاها في طهران، قال: «بالإضافة إلى شكر الداعين للمؤتمر، وشكر الدولة المضيفة؛ كنت أحاول أن أقنع الحضور بمشروع أن تتبنى الأمة الإسلامية والحركات الإسلامية نظاماً عالميّاً جديداً، يدعو إلى العدالة والديمقراطية الحق، والمساواة بين الأفراد، والقضاء على الإرهاب بين الدول والأفراد، والقضاء على الاحتلال، وإعادة الحقوق إلى أهلها في فلسطين وغيرها».

وأشار إلى أن «الإخوان» تربطهم علاقات دائمة وجيدة مع الجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني، موضحاً أن التأثيرات المباركة للثورة الإسلامية كانت واسعة النطاق، وقد شملت العالم أجمع.

واعتبر أن مصر لها ظروفها الخاصة، مشيراً إلى أن: «الثورة

المصرية الحالية أطلقها الشباب من دون أن يكون لهم قائد معين، كما أن علماء الدين لم يكن لهم دور في هذه الثورة».

وأثارت تصريحات الهلباوي هذه جدلاً كبيراً حول دور جماعة الإخوان وموقفها من التدخلات الإيرانية في الشؤون العربية؛ خاصة بعد تصريحات أخرى له نقلتها عنه مواقع إيرانية قال فيها: «إن الشعب المصري رحب بتصريحات قائد الثورة الإسلامية الإيرانية بخصوص الثورة المصرية، وكانت هذه التصريحات جميلة وعظيمة للغاية، وكان لها دور مؤثر جدّاً في شحذ همم الشباب المصري».

وقال - أيضاً -: «إن كلمات الإمام خامنئي بخصوص الثورة المصرية أنارت الدرب أمام الثورة».

وأكد أن جماعة الإخوان تلقت تصريحات قائد الثورة الإسلامية باهتمام؛ كما كانت تتلقى باهتمام - أيضاً - تصريحات الإمام الخميني الراحل، وتستفيد منها.

وعقب الدكتور عصام العريان - المتحدث باسم جماعة الإخوان المسلمين - **على هذه التصريحات، قائلاً لـ «الشرق الأوسط»:** «إن الهلباوي مفكر كبير وباحث محترم، لكنه يمثل نفسه فقط»، مشدداً على أن مواقف الجماعة لا تؤخذ إلا من المرشد العام الدكتور محمد بديع، أو من المتحدثين باسمها.

وحول إشادة الهلباوي بتصريحات مرشد إيران بخصوص الثورة المصرية، قال العريان: «إن جماعة الإخوان رفضت قبل ذلك هذه التصريحات الإيرانية، وأكدت أنها غير مقبولة»، مشدداً على أن الجماعة لا تقبل أي تدخل خارجي في الشؤون المصرية، وأوضح العريان أن الثورة في مصر كانت وستظل ثورة قومية قامت بها القوى الوطنية.

جولة «شيعيّة» لأردوغان من بغداد إلى النجف

«موقع أنباؤكم»، ٢٠١١/٤/١

لم يُعرَف ماذا دار في اللقاء الذي جمع أمس رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان بالمرجع الديني علي السيستاني في النجف.

في كل الأحوال؛ كرّس أردوغان نفسه مجدّداً لاعباً إقليميّاً فوق التوتُّر الشيعي - السنّي.

كرّس رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان أمس ما بدأه منذ مدة، في سبيل إظهار نفسه محايداً على جبهة التوتر الإقليمي بين الشيعة والسُّنة؛ فقبيل زيارته للمرجع الديني علي السيستاني في النجف عرّج أردوغان على مرقد الإمامين الكاظمين في بغداد، وهما من الأئمة الشيعة، قبل أن يصل إلى مرقد الإمام علي في النجف، بعدما نال استقبالاً رسميّاً حاشداً في مطار المدينة الجنوبية؛ حيث كان في مقدمة مستقبليه المحافظ عدنان الزرفي، ورئيس وأعضاء مجلس المحافظة.

وبعد اللقاء؛ اجتمع أردوغان والوفد المرافق له مع السيستاني لساعة كاملة؛ من دون أن يُعرَف ما دار خلالها، مع العلم بأن تسريبات ومعلومات أشارت إلى أن المرجع الشيعي قد يطلب من المسؤول التركي القيام بوساطة ما حيال الأزمة البحرينية، نظراً إلى حسن علاقات أنقرة بكل من المنامة وطهران.

ولم يدلِ أردوغان بأي تصريح في ختام الاجتماع، مخيّباً آمال عشرات المراسلين والصحافيين الذين تجمهروا أمام مقر المرجع الديني!

ونقل مراسل وكالة «فرانس برس» أن رئيس الحكومة التركية خرج من مقر السيستاني ولوّح بيده للصحافيين، مغادراً المكان على عجل.

واتخذت محافظة النجف استعدادات أمنية وتنظيمية كبيرة لاستقبال الضيف التركي؛ الذي انتقل بعد الظهر إلى أربيل للقاء رئيس إقليم كردستان العراق مسعود البرزاني، ولافتتاح مطار أربيل الدولي الذي بنته شركات تركية، إضافة إلى افتتاح رسمي للقنصلية التركية في المدينة الشمالية.

وقد أعلن عضو مجلس محافظة النجف خالد الجشعمي أن المدينة «مستعدة لهذه الزيارة التاريخية، ونتوقع أن يبحث أردوغان مع المرجعية المسائل العراقية وما يجري في بعض دول الجوار؛ وخصوصاً البحرين».

وسبق للسيستاني أن دعا إلى «وقف العنف» بعد اتخاذ السلطات البحرينية تدابير لقمع انتفاضة طالبت بإصلاحات سياسية في المملكة - الجزيرة.

كذلك كان لوزير الخارجية التركي أحمد داوود أوغلو -الذي رافق أردوغان في زيارته العراقية التي دامت يومين- موقفاً دعا فيه قادة البحرين إلى الحؤول دون أن تتحول الاضطرابات إلى «مواجهة طائفية».

وكان أردوغان قد التقى مساء أول من أمس نظيره العراقي نوري المالكي؛ ليدعو العراق إلى الانضمام إلى الاتفاق الرباعي الذي يضم تركيا وسوريا ولبنان والأردن؛ والذي يتضمن إنشاء ما تصفه القيادة التركية بنواة «اتحاد متوسطي» على طريقة الاتحاد الأوروبي.

كامليا وملتاؤس

أسامة حافظ، «المصريون»، ٢٠١١/٣/١٥

منذ عامين أو أكثر قليلاً قدم للمحاكمة قس ومعه اثنان من رعاياه بتهمة التزوير، كان القس قد أفلح في إغراء امرأة مسلمة لتتنصر.

ولأنه أراد أن يورطها بحيث لا تفكر في العودة إلى الإسلام -إن أرادت-؛ فقد رأى -مع شياطينه- أن تسافر من البلاد فارة من أهلها... ولأن إجراءات السفر لشابة بدون أذن أوليائها تكنفها بعض الصعوبات التي تحتاج لوقت في تذليلها، ولأن الوقت ليس في صالح بقائها على المسيحية إن بقيت في مصر؛ فقد زور لها جواز سفر باسم أخته المتوفاة، واستعان في ذلك بشقيين آخرين، وغادرت البلاد.

ولأن القانون لا يعاقب على التغرير بالمرأة، ولا على التبشير بالمسيحية في بلد مسلم؛ فقد قدم القس وأصحابه للمحاكمة بتهمة التزوير فقط!

فرّ الرجلان خارج البلاد قبل الحكم؛ أما القس فلم يفعل؛ لأنه ظن أن قضاتنا لن يجدوا الجرأة لكي يحكموا بالسجن على قس مهما كان مداناً؛ خوفاً من إثارة النصارى عليهم! ولكن القضاة فاجأوه بأن حكموا عليه بالسجن المشدد خمس سنوات، والقبض عليه لتنفيذ الحكم من قاعة المحكمة التي كان يجلس فيها بثوبه الكنسي يضحك باستهزاء أثناء المحاكمة، وهكذا سيق إلى السجن لينفذ الحكم.

ولكن القصة لم تنته عند هذا الحد؛ إذ أن كل مناسبة وكل صحيفة أو موقع أو قناة كنسية لا تفتأ تطالب بالإفراج عنه -وكأنه معتقل سياسي بغير وجه حق!-؛ حتى كانت المظاهرات الأخيرة حول حادث هدم كنيسة صول؛ حيث طالبوا بالإفراج عن القس المزور ضمن مطالبهم في المظاهرة.

وأفرج عن القس المزور بقانون سن له خصيصاً! -استفاد منه كثير من المحكوم عليهم-؛ ليخرج من السجن؛ على نصف المدة، تحت تأثير الخوف من الفتنة الطائفية.

على كلٍّ؛ فخروج القس المزور لا يعنينا، وإنما السؤال: وماذا عن مساجين آخرين، أو قُل: مسجونات قبض عليهن بدون جريره إلا أن يقلن: ربنا الله إلى محاكم التفتيش النصرانية؛ ليغبن عن الوجود لا نعرف لهن سجناً، ولا يزورهن زائر، ولا يخضعن لرقابة النيابة أو القضاء، ولا يحاسب من يتجاوز في حقهن أمام أي جهه؟!!

أين المجلس العسكري منهن؟! ولماذا يتركهن دون ذنب جنينه في أيدي غير أمينة دون سند من أي قانون أو دستور؟!

أعلم أنكم لا ذنب لكن فيما حدث لهن، كما أنكم لا ذنب لكم فيما حدث لملتاؤوس، ولكنهن كمواطنات مصريات لهن كل الحقوق التي لغيرهن من المواطنين؛ يجب عليكم انقاذهن من أيدي جلاديهن، وتركهن يعش كما يعيش الناس؛ بغض النظر عن صدق إسلامهن من كذبه!

إن الحسم الذي اشتهر به الجيش في معالجته لمخالفي القانون ينبغي أن يكون موجوداً في معالجة هذه الجريمة الغريبة؛ التي لا نعلم لها سنداً من أي منطق أو قانون، وحقهن في الحرية لا يقل أهمية عن حق ملتاؤوس، بل هن أحق!

أم أن الشعب -أيضاً- فيه (خيار وفاقوس) حتى أمام الجيش الذي تطلعت إليهم أمال الناس في حل مشكلته؟!

يا رجال الجيش الشرفاء! كلنا أمل في أن يكون الناس أمام القانون سواسية، وأن يجري على الجميع أحكام القانون بمثل السرعة

والحسم والعدل الذي اشتهرتم به.

ونسأل الله أن يوفقكم إلى أن تكونوا حيث يأمل الشعب لكم، وأن تظلوا معقد أمله، ومقصد أحلامه.

فوبيا السلفيين

قطب العرب، «المصريون»، ٢٠١١/٣/٣٠

حين سقط المعسكر الشيوعي وجناحه العسكري «حلف وارسو» بقيادة الإتحاد السوفيتي؛ بحث الغرب وجناحه العسكري «حلف الناتو» بقيادة أمريكا عن عدو جديد؛ ليوجهوا إليه مكائدهم ومؤامراتهم، وترسانة أسلحتهم؛ التي خشوا عليها من الصدأ والبوار، وعلى الفور جعلوا من الإسلام عدوّاً جديداً لهم، ونشأت بالتالي فوبيا الإسلام «الإسلاموفوبيا»، أو الخوف من الإسلام، وزادت هذه المخاوف بعد تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

الأمر يتكرر الآن على المستوى المحلي؛ بعد نجاح ثورة ٢٥ يناير في إزاحة نظام مبارك وحزبه الوطني من السلطة؛ وهو النظام الذي كانت القوى السياسية الليبرالية واليسارية وحتى الإسلامية تفرغ شحنات غضبها فيه، وبعد سقوطه وجهت تلك القوى الليبرالية واليسارية بوصلة عدائها تجاه الإسلاميين، ولم تكتف بالعدو التاريخي -وهو الإخوان-؛ لكنها زادت عليه، بل قدمت عليه الخطر السلفي الذي بدا وكأنه كائن غريب، هبط عليهم فجأة من السماء!! رغم أن التيار السلفي موجود بين ظهرانينا منذ أزمنة بعيدة، تسبق وجود الإخوان المسلمين أنفسهم!

لا أنكر وقوع أخطاء فظيعة من بعض المنتسبين للتيار السلفي أقضت مضاجع الكثيرين مسلمين ومسيحيين، وآخرها: حديث الشيخ محمد حسين يعقوب عما وصف بـ«غزوة الصناديق»، ورغم أن الشيخ أوضح أنه لم يكن جادّاً فيما يقول، بل كان مجرد مزحة! إلا أن هذا التوضيح لم يقنع الكثيرين -أيضاً-؛ لأنه لم يعتذر بشكل صريح عما بدر منه.

ولكنني أقدر أن السلفيين ليسوا ملائكة بل هم بشر، و«كل البشر خطاءون، وخير الخطاءين التوابون»، وما وقع من الشيخ يعقوب أو غيره من فلتات لسان هي نتيجة طبيعية لدخول ميدان ليس لهم فيه خبرة سابقة، وهو: ميدان السياسة؛ الملئ بحقول الألغام، والذي يتطلب الحيطة والحذر والمؤاءمة الكاملة في كل كلمة وحرف وتصرف.

لا أجد حرجاً في نقد أي تصرف خاطئ يقع من الإسلاميين عموماً؛ سواء إخوان أو سلفيين أو غيرهم، ولكنني لا أقبل تحميلهم بخطايا غيرهم، في إطار النكاية السياسية، كما حدث مؤخراً في «قنا» من قطع أذن أحد المسيحيين! والإدعاء بأن نفراً من السلفيين أقاموا على هذا الرجل الحد بسبب قيامه بأعمال منافية للآداب! وكحادث اعتداء بعض البلطجية على الدكتور محمد البرادعي يوم الاستفتاء في «المقطم»! أو محاولة إحراق منزل سيدة متهمة بأعمال منافية للآداب في «المنوفية»!

وكلها حوادث لم يثبت اتهام السلفيين بها، بل إنهم تبرأوا منها في بيان رسمي، ولم تكتف كتائب ساويرس الإعلامية بتحميل السلفيين خطايا غيرهم، بل راحت تختلق إشاعات مغرضة ضدهم، مثل: إلقاء «مياه نار» على المتبرجات، والقيام بمظاهرات يوم أمس الثلاثاء تزامنا مع جلسة لمحكمة القضاء الإداري حول زوجات الكهنة المختفيات؛ وهي الكذبة الكبرى التي سبب قلقاً في بعض المدارس المسيحية، واضطرت إدارة تلك المدارس إلى التكذيب والتهديد بمعاقبة المدرسين المتغيبين، وانتهى يوم الثلاثاء دون أن تحدث مظاهرات كبيرة في الشوارع؛ كما زعموا، بل اقتصر الأمر على وقفة أمام مجلس الدولة.

ربما كانت حادثة قطع أذن أحد المسيحيين في «قنا» هي الأبشع، وهي مستنكرة أيا كان فاعلها، ومهما كانت جريمة صاحب الأذن! فتوقيع العقوبة هو حق للسلطات المختصة وليس للأفراد، والسلفيون هم أول من يعرفون ذلك ويدعون إليه.

ولكن الحقيقة أن محضر الواقعة لم يتضمن أسماء لسلفيين في تلك المنطقة بل هم من أناس عاديون من أهل المكان، تصرفوا بطريقة عرفية، وليس بطريقة شرعية؛ لأنه لا يوجد حد شرعي بقطع الأذن للزاني؛ بفرض ثبوت التهمة، بل إن الحد في تلك الحالة -والذي يطبقه

الحاكم - هو: الرجم للزاني المحصن، والجلد لغير المحصن، أي الذي لم يتزوج.

نحن نعرف جيداً وكل الباحثين في مجال الحركات الإسلامية يعرفون أن السلفيين لا يؤمنون بالعنف، وكثيراً ما كانت تقع بينهم وبين بعض الجماعات الجهادية مساجلات ومناظرات حول استخدام القوة في تغيير المنكرات، ولكن كتائب ساويرس الإعلامية في الفضائيات والصحف ومواقع الإنترنت تصر على «تلبيسهم» أي تهمة فيها عنف أو تحريض عليه! ويرفضون الاستماع لردود السلفيين على تلك الاتهامات، في الوقت الذي يستضيفون محللين وكتاب مناوئين لهم؛ لتأكيد ثبوت تلك الاتهامات ظلماً وعدواناً، وهو ما يخالف أبسط قواعد المهنة.

ستسمر الهجمات والطعنات ضد السلفيين والإخوان وكل الإسلاميين، وهذا طبيعي في ظل حالة التعددية الفكرية والسياسية التي تشهدها مصر حاليّاً.

وليس على الإسلاميين التباكي والتشاكي، بل المطلوب منهم: الرد وتفنيد الإدعاءات الكاذبة، والتجاوب مع النقد الصحيح، وتقديم حلول إسلامية واعية للمشاكل الحياتية، وامتلاك منابر إعلامية قوية؛ لتقديم المواقف والتصورات الإسلامية الرشيدة، وصد الهجمات العلمانية المنظمة، وإذا لم يفعلوا ذلك؛ فلا يلومون إلا أنفسهم!

ماذا ينقمون من السلفية؟!

وائل رمضان، «المصريون»، ١٢/٣/٢٠١١

ذكرت في مقال سابق حين تكلمت عن مهمة السلفيين في مصر بعد التغيير؛ أنه ربما يتم عزل السلفيين، وتحجيم دورهم، وإقصائهم عن المشاركة الفاعلة في صنع القرار وبناء مصر من جديد؛ كما يقولون، وأن هذه العزلة ربما يفرضها السلفيون على أنفسهم بعدم تفاعلهم مع الحدث، والانزواء بعيداً عنه، والانشغال في الخلاف حول شرعيته أو عدم شرعيته، وهذا ما تم تجاوزه بفضل الله.

أما العزلة الأخرى التي يتم فرضها على السلفيين في الوقت الحالي هي ما يجب أن نتنبه إليه بالفعل؛ حيث تُشن حملة شعواء على الدعوة السلفية في مصر بصورة واضحة، وعلى نطاق واسع، وللأسف الشديد أن هذه الحملة لا تقودها جبهة واحدة فقط، ولكنها تنطلق من جبهات كثيرة؛ من علمانيين، وليبراليين، وإعلاميين؛ وحتى من بعض الإسلاميين، وعلى رأس هؤلاء بالطبع: الكنيسة المصرية.

والمتابع للأحداث في الساحة المصرية يلاحظ أن هذه الحملة أخذت أبعاداً ثلاثة:

- **البعد الأول وهو**: الهجوم المباشر.
- **البعد الثاني**: بث الأخبار الكاذبة والمهيجة للشارع المصري عن التيار السلفي.
- **وأخيراً**: الإقصاء المتعمد للسلفيين من كافة الحوارات الوطنية والفكرية التي تعقدها الحكومة، أو التيارات والقوى السياسية المختلفة.

وأما عن البعد الأول؛ فقد اشترك فيه أطراف عدة من إعلاميين وحقوقيين، وأطراف في الحكومة، وبعض الإسلاميين.

ففي تصريح مُستفزّ للناشط القبطي نجيب جبرائيل - رئيس منظمة الاتحاد المصري لحقوق الإنسان - قال: «الأقباط ليس لديهم خشية من جماعة الإخوان، لكن ما يشكل خطراً كبيراً على أقباط مصر هم السلفيّون، والتخوفات تأتي من مدارسهم الفكريّة المنتشرة في أوساط الأمّيِّن؛ والتي قد تبدأ في التطور إلى تكوين كيانات ضاغطة على المسيحيين، وهذا يحتاج إلى وقفة جادة». جريدة «القبس»، عدد١٣٥٨٦.

وفي مقطع على «اليوتيوب» للشيخ وجدي غنيم وجهه لعلماء الدعوة في الإسكندرية، وللشيخ محمد حسان على وجه الخصوص؛ وصف السلفيين بأنهم ربّوا الناس على الخنوع، وأخذ يستهزئ بطريقته المعروفة بأن البعض منهم تبنى الرأي القائل بأن تلك المظاهرات بدعة، وأخذ يكيل الاتهامات للتيار السلفي ورموزه بصورة تبدو وكأنه يحاول بطريقة أو بأخرى تشويه صورة السلفيين؛ بأي وسيلة، وإن كان يدَّعي أنه يبتغي النصح لهم!

وبالطبع لم يُفوِّت الإعلامي عمرو أديب الفرصة؛ حين علّق على موقف الشيخ محمد حسين يعقوب، وموقفه من الاستفتاء، وأخذ يثني بشكل لافت على جماعة الإخوان التي كان يصفها من قبل بالمحظور! حتى وصف الإخوان بأنهم رحمة! وأن التخوف القادم هو من السلفيين!!

وأما البعد الثاني من أبعاد تلك الحملة وهو: بث الأخبار الكاذبة، وتعمد إلصاقها بالسلفيين؛ لتشويه صورتهم، والهدف منها: إثارة الرعب في قلوب العوام وغيرهم، واستخدام السلفيين كفزاعة لإقصاء الدين عن واقع الحياة في مصر.

ففي خبر نشرته الجرائد الرسمية عن قيام مجموعة من الشباب السلفي بإقامة الحد على رجل قبطي بقنا، بزعم أنه يقود شبكة للدعارة تضم فتيات مسلمات، وقاموا بقطع أذنه.

وخبر آخر عن قيام مجموعة من الشباب السلفي بمهاجمة سيدة من محافظة المنوفية، وتهديدها بالقتل؛ بحجة أنها تمارس أعمال منافية للآداب داخل المنزل، وقاموا بإلقاء جميع محتويات منزلها بالشارع، وطالبوها بمغادرة المدينة، وعدم السكن فيها، وأعطوها مهلة لذلك.

و لا شك أن هذه الأخبار وغيرها تذكرنا بما فعلته ميليشيات النظام البائد أثناء المواجهات مع الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد، في فترة الثمانينات؛ حيث كان يتنكر أفرادها في زي الشباب الملتزم، ويقومون بمهاجمة الناس والممتلكات!

ولا شك أن هذه الوسائل وغيرها يعلم القاصي والداني براءة التيار السلفي منها!

وأخيراً؛ يأتي إقصاء السلفيين من واقع الحياة السياسية في مصر كبعد أخير من هذه المؤامرة التي تحاك بالسلفيين؛ سواء عن قصد أو عن غير قصد، فالمتابع لما يجري في الساحة من حوارات وسجالات ومؤتمرات؛ يرى غياب السلفيين عن تلك المؤتمرات بشكل لافت.

فالإخوان الذي عقدوا احتفالية ضخمة قبل عدة أيام بقاعة المؤتمرات بالأزهر احتفاءاً بنجاح الثورة، وحضرها ما يقارب من عشرة آلاف مشارك من كبار رجالات الدولة؛ بكافة أطيافهم الفكرية والثقافية والدينية وعلى رأسهم بالطبع كبار رجال الكنيسة؛ يلاحظ أن هذه الاحتفالية غاب عنها أي رمز من رموز التيار السلفي.

كما أن المرشد العام للجماعة -والذي طلب زيارة الكنيسة، وفتح حوار مع البابا شنودة والشباب القبطي- لم يدر في خلده دعوة التيار السلفي لمثل هذا الحوار؛ على الأقل بافتراض أنهم كإسلاميين يشتركون في هدف واحد وهو: تطبيق شرع الله ﷻ.

وعلى صعيد آخر؛ نجد أن الدعوى التي وجهها المجلس العسكري لكافة القوى الوطنية والسياسية لبدء حوار وطني ستخلو بالطبع -كما هو متوقع- من أي رمز سلفي مشارك في هذا الحوار، ولا ندري ما السبب في ذلك؟! هل لأنهم ليسوا من القوى الوطنية؟ أم لاعتبار أن السلفيين ليس لهم وزن؛ فبالتالي لا يؤبه لهم كقوى مؤثرة في المجتمع؟؟!! لا ندري!!

ولا ننكر أن الواقع السلفي يمر في المرحلة ببعض الاضطرابات؛ شأنه شأن أي فصيل آخر من فصائل المجتمع، فما كان أحد على وجه الأرض يتوقع ما حدث -كما قال الشيخ أبي إسحاق الحويني -حفظه الله-.

لذلك فإن هذه الأزمة -إن صح التعبير- التي يتعرض لها السلفيون لها أسباب عدة، من أهمها:

- **موقف التيار السلفي السابق من المشاركة السياسية في مصر**؛ مما أدى إلى غياب السلفيين تماماً عن واقع الممارسة السياسية خلال الحقبة الفائتة، وانشغالهم بتعليم الناس وتربيتهم وتزكيتهم.

وهذا بالطبع محمدة لهم وليس بمذمة، وهو ما فرضته السياسة الشرعية عليهم.

- **التخوف الكبير من السلفيين**، وأنهم متشددون وجامدون في أفكارهم، وليست لديهم مرونة في التعامل مع القضايا المختلفة، وأنهم يحُرِّمون كل شيء، ويكفّرون الآخر لمجرد الخلاف معه.
- **التَرِكة المُثقلة التي تحملها السلفيّون** من اتجاه بعض الطوائف المحسوبة عليهم للعنف؛ سواء في الداخل؛ كالجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد والتكفير، أو في الخارج؛ كالقاعدة وغيرها

من الجماعات المسلحة.

❁ **عدم وجود جبهة موحدة تتحدث باسم السلفيين**، ويكون عليها اتفاق وإجماع من كافة التوجهات السلفية في مصر؛ مما أدى إلى عدم وجود خطاب موحد ومحدد المعالم يخرج باسم الدعوة السلفية.

ولا شك أن هذا أدى إلى تضارب كثير من البيانات الصادرة، وتباين كثير من المواقف تجاه الأحداث وبعدها.

هذه أهم الأسباب من وجهة نظري، ولا شك أن هناك أسباب أخرى لدى المحللين والباحثين في هذا الشأن.

ونخلص مما سبق إلى عدة أمور:

- **لا شك أن هناك أمواج عاتية سيواجهها السلفيون جَرَّاء هذا التغيير**، وهذا أمر متوقع، ونقول: أننا الحين في مرحلة الزرع والبناء، ولسنا في مرحلة جني الثمار، ولا شك أنها مرحلة صعبة تحتاج إلى كثير من الجهد والعرق والصبر.
- **لا بد للقائمين على رأس العمل السلفي** من التخطيط الجيد لما يجب عليهم القيام به في الفترة المقبلة، وعدم التسرع في تقييم الواقع، وعدم الاعتماد على ردود الأفعال التي قد تضر بالدعوة أكثر مما تصلح، فليس من الضروري أن ندلي بدلونا في كل مسألة تُطرح على الساحة في الفترة الحالية بحجة عدم غيابنا عن الحدث، والرغبة في تسجيل موقف؛ ولو على حساب أصول المنهج السلفي.
- **لا بد أن نتحرك من خلال عمل مؤسسي مُنظم**، ولا شك أن هناك بوادر بدأت تلوح في الأفق لمثل هذا التوجه؛ كالهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، وعلى رأسها الدكتور محمد يسري، وثلة من العلماء والدعاة المعتبرين، وكذلك تأسيس مجلس إدارة الدعوة السلفية بالإسكندرية.

والمهم هو آلية تفعيل هذه المؤسسات ودعمها على كافة الأصعدة؛ سواء الإعلامية أو المجتمعية.

- **عدم التسرع في إبداء المراجعات عما يظنه البعض خطأ** في التصور، وفي الحركة، وفي التعامل مع الواقع؛ من قِبَل التيار السلفي في الفترة الماضية، فإن هذا من شأنه زعزعة الثقة لدى الشباب السلفي في علماء الدعوة؛ فإن ما تربى عليه الشباب سنوات طوال لا يتم التراجع عنه لمجرد رأي شيخ أو عالم منفرداً لحدث نجح بتقدير الله ﷻ.

والسؤال الذي يسأله الكثيرون: ماذا لو لم تنجح الثورة؟! هل كان موقف المشايخ كما هو الآن؟؟!!

- **عدم الانجرار لمعارك جانبية، والانشغال بالرد على فلان أو الدفاع عن فلان**، والاهتمام بما هو أهم من ذلك في تثبيت أصول المنهج، ودراسة الواقع الحالي؛ وكيفية التعامل معه وفق هذه الأصول.
- **أخيراً؛ لا بد للشباب من التمسك بالمنهج الذي تربوا عليه**، والثقة الكاملة في مشايخ وعلماء الدعوة، وليعلموا أن أعدائهم ومنافسيهم أغاظهم كثيراً ما حققوه من نتائج على المستوى الشعبي خلال السنوات الفائتة، وهو ما يحاولون اليوم هدمه.

ولكن الأخطر من هذا هو: هدم الثقة، وبث الفرقة بين شباب الدعوة ومشايخها وعلمائها؛ الذين هم رأس الأمر والمرجع في الأمن والخوف، ومتى هدم الرأس لم يقم للجسد قائمة، والله المستعان!

المرجعية الإسلامية للدولة المدنية.. ماذا تعني؟؟

د. عبد الرحمن البر

مع نجاح الثورات الشعبية في بعض البلدان العربية التي يأتي على رأسها -حتَّى الآن-: مصر وتونس، وترشح العديد من الدول العربية للحاق بقطار التَّحرّر من هيمنة النظم الديكتاتورية؛ بدأ يظهر في الأفق بوادر إنشاء أحزاب رسمية للحركات الإسلامية.

وقد تسبَّب إعلان الحركات الإسلامية عن إنشاء أحزاب سياسية تحمل الصّفة المدنية، وفي الوقت ذاته تتمسك بالمرجعية الإسلامية؛ في خلق حالة جدلية روج لها مناهضي المنهاج الإسلامي في هذه البلدان، وهو ما يلزمنا بضرورة مناقشة هذه القضية الجدلية.

بداية؛ يجب تحديد مفهومين قبل مناقشة هذه القضية؛ أولهما: «المرجعية»، والأخرى هي: «الدولة المدنية».

أمَّا المرجعية؛ فهي الإطار النَّظري الذي يحكم سياق المواقف والرؤى؛ فالمرجعية الإسلامية تعني: الإيمان بـ(القرآن والسنة) مرجعية لكلِّ التَّعاملات، بل يذهب المستشار المصري طارق البشري

إلى عدّها «ضابط الانتماء للإسلام».

أمَّا الدولة المدنية؛ فهي التي تطبق الديمقراطية، والأخيرة ليست كلمة عربية، بل هي مشتقة من اليونانية، وهي مجموعة من كلمتين: الأولى: (DEMOS - دي موس)، وتعني: عامة النَّاس، أو الشعب، والثانية: (KRATIA - كراتيا)، وتعني: حكم، فيصبح معناها: حكم عامة الناس، أو: حكم الشعب، بمعنى أنَّ الشعب مصدر السلطات، ويعرّفها البعض بأنَّها ليست بالدولة الدينية التي يحكمها ويديرها رجال الدِّين، كما أنَّها ليست بالدولة العسكرية التي يحكمها ويديرها العسكر.

الإسلام والدولة الدينية:

يتلخص الفرق بين الدولتين الدينية والمدنية ذات المرجعية الإسلامية في كون الدينية تعني: دولة (كهنوتية) لها دين واحد فقط تسمح به وتمارس شعائره، ولا يوجد دين آخر في هذه الدولة مسموح له بممارسة الشعائر، وتتحكم في أهل الأرض باسم السَّماء، وتتحكَّم في دنيا الناس باسم الله، ولعلَّ أخطر ما في الدولة الدينية أنها تجعل الحاكم يتكلم باسم الله، ومن ثَمَّ لا تجوز مراجعته ولا مساءلته، وبهذا تفتح هذه الدولة الباب واسعاً للاستبداد باسم الدين، وهو أسوأ أنواع الاستبداد.

ولم يعرف الإسلام يوماً الدولة الدينية التي اشتهرت بها أوروبا في عصورها الوسطى، والتي «يحتكر حكامها الحق» لأنَّهم يتكلمون باسم «الله»؛ حيث أشاع الإسلام بين أتباعه «ثقافة المساواة التامة، والمواطنة الكاملة»، فلا تفاضل بين النَّاس إلاَّ بقدر كفاءتهم وأعمالهم الصَّالحة المفيدة للوطن والمواطنين «**يا أيها الناس! ألا إنَّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى**».

ولقد ضمن الإسلام لجميع المواطنين «حق المعارضة» للحاكم إذا أخطأ، وأباح لهم «تصحيح» هذا الخطأ، وجعل الإسلام هذه المعارضة دليلاً على صحة وسلامة «الإيمان»، والتقصير فيها «مناقض» للإيمان ويستوجب «عقاب الله»، عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**الدِّين النصيحة**»، قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم**». رواه مسلم.

فالأمَّة هي مصدر السلطات، وخيار الأمَّة، وبيعتها هي التي تمنح الحاكم حقه في السَّمع والطَّاعة، أي تمنحه السلطة، والسَّمع والطَّاعة للحاكم من منطلق «**إنما الطاعة في المعروف**»، رواه الشيخان وأحمد والنسائي وأبو داود، «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»، رواه أحمد والحاكم في «مستدركه»، وصحَّحه السيوطي.

إذن العصمة في التصوّر الإسلامي وقف على النَّبي ﷺ فيما يبلغه عن ربّه @، ولم ينشئ في بنيانه أبداً ما يعرف بالمؤسسة الدينية؛ لا في صورة فرد، ولا طبقة، ولا مؤسسة؛ (كالبراهمة) -مثلاً- عند الهنود، (والأحبار) عند اليهود، و(الإكليروس) عند النَّصارى، لأنَّ العلاقة بين (الرب) و(العبد) في الإسلام علاقة مفتوحة بلا وسطاء.

الدولة الإسلامية:

لقد أثبت التاريخ أنَّ هذه المقوّمات النظرية التي جاء بها الإسلام أقامت دولاً مدنيةً، وحضارةً إنسانيةً إسلاميةً أضاءت عصوراً عديدة، عرف فيها المسلمون دولة الحق والعدل والقانون، وعاش خلالها غير المسلمين يتمتعون بالمساواة في الحقوق والوجبات، وينعمون بحرية الاعتقاد.

الدولة الإسلامية هي الدولة (الحديثة)؛ فهي ليست بالدولة (الثيوقراطية)، ولا هي بالدولة (العلمانية).. وهي دولة فكرة تقوم على نشرها.. كما هي دولة رعاية تحمي حقوق الفقراء، وتحفز المجتمع على القيام بواجباته جميعاً.

أو بالأحرى هي: دولة دعوة، أو دولة رسالة، وهذا هو التَّعبير الحقيقي لارتباطها بالعقيدة الإسلامية أو الترجمة العملية للوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، وهي الدولة التي غالبية سكانها من المسلمين، وتقرّ باستمداد تشريعاتها من الشريعة الإسلامية.

ولعلَّ أهم ما يميز الدولة الإسلامية هو: الأهداف العامة التي تتحمَّل هذه الدَّولة عبء القيام بها؛ والتي أوجزها المتقدّمون بقولهم: «القيام على أمر العباد بما يصلح معاشهم ومعادهم..»، فثنائية الاهتمام بالمعاش والمعاد هي أولى مميزات هذه الدولة، وبقدر ما تقوم أجهزة

الدولة بالوظائف التي يحدِّدها لها الإسلام، ويتم في إطارها تنفيذ أحكامه، وتبليغ دعوته، ومراعاة شرائعه؛ بقدر ما تقترب من وصف الدولة الإسلامية أو تبتعد عنه.

وعندما تحقّق الدولة الإسلامية وظائفها الأساسية؛ فإنّها بذلك تقدم المثال لبقية دول العالم ولكل الإنسانية حول التجسيد الحقيقي للمبادئ والقيم الإسلامية؛ كالعدل والحرية والمساواة والشورى وحقوق الإنسان وحفظ كرامته؛ بما يحولها إلى نموذج يحتذى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠].

الدولة ذات المرجعية:

ومن مظاهر النظم الديمقراطية ذات المرجعية الإسلامية التي يمارس فيها الشعب مظاهر السيادة بواسطة برلمان منتخب:

١ - **أن يقوم عددٌ من أفراد الشعب** بوضع مشروع للقانون مجملاً أو مفصَّلاً، ثـمَّ يناقشه المجلس النيابي؛ بحيث لا يخالف الشريعة الإسلامية؛ إذ إن مرجعية الدولة ومصدر دستورها الذي تشتق منه الأحكام هو الإسلام، ويصوِّت عليه، وليس لرئيسها التعديل فيه إلَّا عن طريق أفراد شعبه، فما هو إلَّا أجيرٌ عندهم، كما كان هدي الخلفاء الراشدين ﵃، وسنّ قوانين في الأمور المستحدثة أو النازلة، وفي الشؤون التي لا يفصل فيها نص من القرآن أو السنَّة.

٢ - **حق الاستفتاء الشعبي**؛ بأن يُعرض القانون بعد إقرار البرلمان إيَّاه على الشعب ليقول كلمته فيه؛ لتكون مجمعة عليه -أيضاً-، ومسؤولة عنه.

٣ - **حقُّ الاعتراض الشعبي**؛ وهو حقّ لعددٍ من الناخبين يحدده الدستور للاعتراض فيه.

٤ - **حقُّ اختيار مجلس شعبي كنوابٍ للشعب**؛ بعيد عن أي تزوير يتكون من أناسٍ على درجةٍ من والعلم والفهم والوعي والأخلاق.

٥ - **حقُّ اختيار القوي الأمين، المؤهل للقيادة، الجامع لشروطها**، يختاره بكلِّ حرية أهل الحل والعقد، كما تقوم على البيعة العامة من الأمَّة يقوم على مبدأ الشورى ووفق القوانين التي اختارها شعبه، ولها محاسبته إن أخطأ؛ بمعنى: الإمام أو الحاكم في الإسلام مجرّد فرد عادي من النَّاس، ليس له عصمة ولا قداسة، وكما قال الخليفة الأوَّل: «إني وليتُ عليكم ولستُ بخيركم»، وكما قال عمر بن عبد العزيز: «إنما أنا واحدٌ منكم، غير أن الله -تعالى- جعلني أثقلكم حملاً».

٦ - **يجب على الأمَّة** الالتزام بدستورها، وعدم الخروج على حاكمها، وما دام دستورها موافقاً لشريعتها الإسلامية وأقرَّته الأمَّة؛ فوجب عليها الاتِّباع، وفي الحديث الصحيح المتفق عليه: «**السَّمع والطَّاعة حق على المرء المسلم فيما أحب وكره؛ ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»، والقرآن الكريم حين ذكر بيعة النّساء للنّبي، وفيها: طاعة النبي وعدم معصيته؛ قيَّد ذلك بقوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾[الممتحنة: ١٢].

الجزية:

لعل قضية الجزية تعد أبرز النقاط الجدلية التي تستغل في توسيع الهوة بين أي حكم إسلامي وبين غير المسلمين في ذات الوطن، وكثيراً ما تثار هذه القضية للتخويف من حكم الإسلاميين؛ حيث الادعاء بأن الإسلاميين إذا وصلوا للحكم سيفرضون الجزية على أبناء الديانات الأخرى.

ويثير المبشرون والمستشرقون قضية الجزية التي غُلِّفت بتفسيرات سوداء، جعلت أهل الذمة يفزعون من مجرد ذكر اسمها! فهي في نظرهم ضريبة ذل وهوان، وعقوبة فُرِضت عليهم مقابل الامتناع عن الإسلام.

ويشير الشيخ يوسف القرضاوي -رئيس الاتحاد العالمي للمسلمين- إلى أن الجزية على الذميين هي بدل عن فريضتين فُرِضتا على المسلمين وهما: فريضة الجهاد، وفريضة الزكاة، ونظراً للطبيعة الدينية لهاتين الفريضتين لم يُلزم بهما غير المسلمين، على أنه في حالة اشتراك الذميين في الخدمة العسكرية والدفاع عن الحَوْزَة مع المسلمين؛ فإن الجزية تسقط عنهم.

واستشهد القرضاوي بما كتبه المؤرخ سير توماس و أرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» عن الغرض من فرض الجزية، وعلى مَن

فُرضت، قال[1]: «ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين -كما يريدنا بعض الباحثين على الظن- لوناً من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة؛ وهم: غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش، في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين».

ويضيف القرضاوي: ويمكن الحكم على مدى اعتراف المسلمين الصريح بهذا الشرط من تلك الحادثة التي وقعت في عهد الخليفة عمر؛ لما حشد الإمبراطور هرقل جيشاً ضخماً لصد قوات المسلمين المحتلة، كان لزاماً على المسلمين -نتيجة لما حدث- أن يركزوا كل نشاطهم في المعركة التي أحدقت بهم.

فلما علم بذلك أبو عبيدة -قائد العرب- كتب إلى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم برد ما جُبي من الجزية من هذه المدن، وكتب إلى الناس يقول: «إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جُمع لنا من الجموع، وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم؛ وإنّا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم؛ إن نصرنا الله عليهم»، وبذلك ردت مبالغ طائلة من مال الدولة.

فدعا المسيحيون بالبركة لرؤساء المسلمين، وقالوا: «ردكم الله علينا، ونصركم عليهم -أي على الروم-؛ فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً، وأخذوا كل شيء بقي لنا».

فصل الدِّين عن السياسة.. رؤية شرعية[2]

د. يوسف القرضاوي، «أون إسلام»، (باختصار وتصرف يسير)

أول ما رتبه العلمانيون على نظريتهم في العلاقة بين السياسة والدِّين: أنهم فصلوا السياسة عن الدِّين، والدِّين عن السياسة فصلاً تامّاً، وأشاعوا المقولة الشهيرة: لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدِّين! وهي مقولة لا تثبت على محكِّ النقد والمناقشة.

بل هناك من ينادي بفصل الدين عن الحياة كلها، ولا ينبغي له أن يكون له دور إلا في ضمير الفرد، فإن سمح له بشيء أكثر ففي داخل المعبد (الكنيسة أو المسجد).

مناقشة مقولة: لا دين في السياسة:

فما معنى: لا دين في السياسة؟ أتعني: أن السياسة لا دين لها؛ فلا تلتزم بالقِيَم والقواعد الدِّينية، وإنما هي (براجماتية) تتبع المنفعة حيث كانت، والمنفعة المادية، والمنفعة الحزبية أو القومية، والمنفعة الآنية، وترى أن المصلحة المادية العاجلة فوق الدِّين ومبادئه، وأن (الله) وأمره ونهيه وحسابه لا مكان له في دنيا السياسة؟!

وهي في الحقيقة تتبع نظرية مكيافللي[3]؛ التي تفصل السياسة عن الأخلاق، وترى أن (الغاية تبرِّر الوسيلة)، وهي النظرية التي يبرِّر بها الطغاة والمستبدون مطالبهم وجرائمهم ضد شعوبهم؛ وخصوصاً المعارضين لهم، فلا يبالون بضرب الأعناق، وقطع الأرزاق، وتضييق الخناق؛ بدعوى الحفاظ على أمن الدولة، واستقرار الأوضاع!... إلى آخر المبرِّرات المعروفة.

ولكن هل هذه هي السياسة التي يطمح إليها البشر؟ والتي يصلح بها البشر؟

إن البشر لا يصلح لهم إلا سياسة تضبطها قِيَم الدِّين وقواعد

---

(١) «الدعوة إلى الإسلام (ص٧٩-٨١)، ط ثالثة، مكتبة النهضة، ترجمة الدكاترة: حسن إبراهيم حسن، وإسماعيل النحراوي، وعبد المجيد عابدين».

(٢) من بحث (الدِّين والسياسة.. تأصيل ورد شبهات)، المقدم لندوة المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث في دورته السادسة عشرة-يوليو ٢٠٠٦م.

(٣) نقولو مكيا فللي: كاتب سياسي إيطالي (ت١٦٤٢م)، اشتهر بكتابه «الأمير» الذي ذاع صيته في عالم السياسة؛ لما انفرد به من أفكار لا تبالي بالقِيَم والأخلاق في بناء الدول وسياستها، فلا مانع عنده من استعمال النذالة والخيانة والغدر والتضليل والخداع والغش في سبيل الوصول إلى الهدف، وهو: المحافظة على الدولة وقوتها، وشن الحرب دائماً لحمايتها، ومهاجمة خصومها.

نقله إلى العربية خيري حماد، وقد نشرته دار الأوقاف الجديدة في بيروت (الطبعة الرابعة والعشرون ٢٠٠٢م)، مع تعليق مطول للمحامي د. فاروق سعد، حول تراث الفكر السياسي قبل «الأمير» وبعده.

الأخلاق، وتلتزم بمعايير الخير والشر، وموازين الحق والباطل.

إن السياسة حين ترتبط بالدِّين، تعني: العدل في الرعية، والقسمة بالسوية، والانتصار للمظلوم على الظالم، وأخذ الضعيف حقه من القوي، وإتاحة فرص متكافئة للناس، ورعاية الفئات المسحوقة من المجتمع؛ كاليتامى والمساكين وأبناء السبيل، ورعاية الحقوق الأساسية للإنسان بصفة عامة.

إن دخول الدِّين في السياسة ليس -كما يصوره الماديون والعلمانيون- شرّاً على السياسة، وشرّاً على الدِّين نفسه.

إن الدِّين الحق إذا دخل في السياسة: دخل دخول المُوجِّه للخير، الهادي إلى الرشد، المبين للحق، العاصم من الضلال والغي، فهو لا يرضى عن ظلم، وهو لا يتغاضى عن زيف، ولا يسكت عن غي، ولا يقر تسلط الأقوياء على الضعفاء، ولا يقبل أن يعاقب السارق الصغير، ويكرم السارق الكبير!!

والدِّين إذا دخل في السياسة: هداها إلى الغايات العليا للحياة وللإنسان: توحيد الله، وتزكية النفس، وسمو الروح، واستقامة الخُلق، وتحقيق مقاصد الله من خلق الإنسان: عبادة الله، وخلافته في الأرض، وعمارتها بالحق والعدل، بالإضافة إلى ترابط الأسرة، وتكافل المجتمع، وتماسك الأمة، وعدالة الدولة، وتعارف البشرية.

ومع الهداية إلى أشرف الغايات، وأسمى الأهداف: يهديها كذلك إلى أقوم المناهج لتحقيق هذه الغايات، وجعلها واقعاً في الأرض يعيشه الناس، وليست مجرد أفكار نظرية، أو مثاليات تجريدية.

والدِّين يمنح في الوقت نفسه رجال السياسة: الحوافز التي تدفعهم إلى الخير، وتقفهم عند الحق، وتشجعهم على نصرة الفضيلة، وإغاثة الملهوف، وتقوية الضعيف، والأخذ بيد المظلوم، والوقوف في وجه الظالم حتى يرتدع عن ظلمه، كما جاء في الحديث الصحيح: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، قالوا: يا رسول الله! ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: «تمنعه من الظلم؛ فذلك نصر له». رواه البخاري.

والدِّين يمنح السياسي: الضمير الحي أو (النفس اللوامة)؛ التي تزجره أن يأكل الحرام من المال، أو يستحل الحرام من المجد، أو يأكل المال العام بالباطل، أو يأخذ الرشوة باسم الهدية أو العمولة.

وهو الذي يجعل الحاكم يُحَرّض الناس على نصحه وتقويمه.. «إن أسأت فقوموني»، «من رأى منكم فيَّ اعوجاجاً فليقومني».

والدِّين يجرِّئ الجماهير المؤمنة أن تقول كلمة الحق، وتنصح للحاكم وتحاسبه، وتقومه إذا اعوج، لا تخاف في الله لومة لائم؛ حتى لا يدخلوا فيما حذر منه القرآن: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الأنفال:٢٥].

أما تسمية الخداع والكذب والغدر والنفاق: (سياسة)، فهذا مصطلح لا نوافق عليه؛ فهذه هي سياسة الأشرار والفجار، التي يجب على كل أهل الخير أن يطاردوها ويرفضوها.

إن تجريد السياسة من الدِّين يعني: تجريدها من بواعث الخير، وروادع الشر.. تجريدها من عوامل البر والتقوى، وتركها لدواعي الإثم والعدوان.

وربط السياسة بالدِّين يعطي الدولة قدرة على تجنيد (الطاقة الإيمانية) أو (الطاقة الروحية) في خدمة المجتمع، وتوجيه سياسته الداخلية إلى الرشد لا الغي، وإلى الاستقامة لا الانحراف، وإلى الطهارة لا التلوث بالحرام، وكذلك تجنيد هذه الطاقة في السياسة الخارجية للدفاع عن الوطن، ومواجهة أعدائه والمتربصين به، والاستماتة في سبيل تحريره إذا احتلت أرضه، أو اغتصبت حقوقه، أو ديست كرامته.

ولقد رأينا المسلمين في عصورهم الذهبية حين ارتبطت سياستهم بالدِّين؛ فتحوا الفتوح، وانتصروا على الإمبراطوريات الكبرى، وأقاموا دولة العدل والإحسان، ثم شادوا حضارة العلم والإيمان، مستظلين براية القرآن.

وها نحن نرى اليوم الدولة الصهيونية المغتصبة (إسرائيل) كيف وظفت الدِّين اليهودي في إقامة دولتها، وتجميع اليهود في العالم على نصرتها؛ حتى العلمانيون من ساسة الصهيونية كانوا يؤمنون بضرورة الاستفادة من الدِّين، وهم لا يؤمنون به مرجعاً موجهاً للحياة.

ونرى كذلك الرئيس الأمريكي الحالي (بوش) الابن وجماعته

من أتباع اليمين المسيحي المتطرف، كيف يستخدمون الدِّين في تأييد سياستهم الطغيانية المستكبرة في الأرض بغير الحق؛ حتى رأينا (بوش) يتحدث وكأنه نبي يوحى إليه: أمرني ربي أن أحارب في العراق، أمرني ربي أن أحارب في أفغانستان... إلى آخر ما أعلنه من صدور أوامر إلهية إليه!!

ورأينا أحزاباً علمانية الفكر في أوروبا تحاول أن تتقوَّى بالدين؛ فتنسب نفسها إليه، أي إلى المسيحية، فرأينا أحزاباً مسيحية: ديمقراطية واشتراكية تقوم في عدد من دول أوروبا، وتحصل على أكثرية أصوات الناخبين، وتتولى الحكم عدة مرات.

فلماذا يُراد للمسلمين وحدهم أن يَفْصلوا السياسة عن الدِّين، أو يزيحوا الدين عن السياسة؟ لتمضي الأمة وحدها معزولة عن سر قوتها، مهيضة الجناح، منزوعة السلاح، لا حول لها ولا طول؟!

وقد أجمع كل الحكماء من المسلمين على أن ارتباط الملك أو الحُكم أو الدولة بالدين لا يثمر إلا الخير والقوة للدولة.

يقول العلاَّمة البيروني في كتابة الشهير «تحقيق ما للهند من مقولة»: «إن المُلك إذا استند إلى جانب من جوانب مِلَّة (أي دين) فقد توافى فيه التوأمان، وكمل فيه الأمر باجتماع الملك والدين».

وابن خلدون في «مقدمته» الشهيرة يفرق بين نوعين من المجتمعات: مجتمع دنيوي محض، ومجتمع دنيوي ديني، وهو أزكى وأفضل من المجتمع الأول، فهو يقر بأثر الدين في الحياة الاجتماعية؛ الذي لا يقل أهمية عن أثر العصبية، ومن ثَمَّ كانت الصورة المثلى للدولة عنده هي التي يتآخى فيها الدين والدولة.

مناقشة مقولة: لا سياسة في الدِّين:

وما معنى (لا سياسة في الدِّين)؟ إن كان معناها: أن الدِّين لا يعنى بسياسة الناس ألبتَّة، ولا يشغل نفسه بمشكلات حياتهم العامة، وتدبير أمورهم المعيشية، وعلاقة بعضهم ببعض؛ فهذا ليس بصحيح.

فكل الأديان لها توجيهات في هذا الجانب، تَقْصر في دين، وتَطُول في آخر، والإسلام هو أطول الأديان باعا في هذا المجال، وله في ذلك نصوص كثيرة من القرآن والسنة، وله تراث حافل من فقه الشريعة، وشروح مذاهبها، واختلاف مشاربها.

ولقد ذكر الشيخ علي عبد الرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم»: أن الدنيا أهون عند الله من أن ينزل في تدبير شؤونها نصوصاً من وحيه!! ونسي الشيخ أو تناسى أن الله أنزل أطول آية في كتابه (القرآن) في شأن من شؤون الدنيا، وهو: كتابة الدَّين وتوثيقه؛ وذلك في الآية (٢٨٢) من سورة البقرة، المعروفة بآية المداينة، وأن (آيات الأحكام) التي عني بها المفسرون والفقهاء تعد بالمئات.

وكل أصحاب الأديان كان لهم مشاركات في توجيه الحياة السياسية؛ حتى الكنيسة المسيحية التي قرأت قول الإنجيل: «دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» لم تأخذه بحرفيته، وحاولت أن تتدخل في شأن قيصر، وأن توجهه، وربما نزعت السلطة منه.

ضلالة فصل الدِّين عن السياسة:

وقد اختار شيخنا العلامة محمد الخضر حسين -شيخ الأزهر في زمانه- أن يعبر عن فصل الدِّين عن السياسة -الذي دعا إليه أحد الكُتَّاب- بعبارة: (ضلالة)، وهو تعبير شرعي صحيح؛ لأنه أمر مُحْدث ومبتدع في الأمة، وكل بدعة ضلالة؛ كما في الحديث الصحيح.

وقد كتب في ذلك مقالة طويلة، نشرها في مجلة «نور الإسلام»، ثم وضعها في كتابه «رسائل الإصلاح»[1]، ومما قاله الشيخ في هذه المقالة العلمية الرصينة: «نعرف أن الذين يدعون إلى فصل الدِّين عن السياسة فريقان:

١ - فريق يعترفون بأن للدين أحكاماً وأصولاً تتصل بالقضاء والسياسة، ولكنهم يُنْكرون أن تكون هذه الأحكام والأصول كافلة بالمصالح، آخذة بالسياسة إلى أحسن العواقب، ولم يبال هؤلاء أن يجهروا بالطعن في أحكام الدِّين وأصوله، وقبلوا أن يسميهم المسلمون ملاحدة؛ لأنهم مُقِرُّون بأنهم لا يؤمنون بالقرآن، ولا بمن نزل عليه القرآن.

(١) انظر: مقالة (ضلالة فصل الدِّين عن السياسة) من «رسائل الإصلاح» (ص ١٥٩-١٧٣)، طبعة المطبعة التعاونية بدمشق.

٢ - ورأى فريق أن الاعتراف بأن في الدِّين أصولاً قضائيةً وأخرى سياسية، ثم الطعن في صلاحها، إيذان بالانفصال عن الدِّين، وإذا دعا المنفصل عن الدِّين إلى فصل الدِّين عن السياسة كان قصده مفضوحاً، وسعيه خائباً، فاخترع هؤلاء طريقاً حسبوه أقرب إلى نجاحهم، وهو أن يَدَّعوا أن الإسلام توحيد وعبادات، ويجحدوا أن يكون في حقائقه ما له مدخل في القضاء والسياسة، وجمعوا على هذا ما استطاعوا من الشُّبه، لعلهم يجدون في الناس جهالة أو غباوة، فيتم لهم ما بيتوا.

هذان مسلكان لمن ينادي بفصل الدِّين عن السياسة، وكلاهما يبغي من أصحاب السلطان: أن يضعوا للأمة الإسلامية قوانين تناقض شريعتها، ويسلكوا بها مذاهب لا توافق ما ارتضاه الله في إصلاحها، وكلا المسلكين وليد الافتتان بسياسة الشهوات، وقصور النظر عما لشريعة الإسلام من حِكَم بالغات.

أما أنَّ الإسلام قد جاء بأحكام وأصول قضائية، ووضع في فم السياسة لجاماً من الحكمة؛ فإنما ينكره من تجاهل القرآن والسنة، ولم يحفل بسيرة الخلفاء الراشدين؛ إذ كانوا يزنون الحوادث بقسطاس الشريعة، ويرجعون عند الاختلاف إلى كتاب الله أو سنة رسوله».

وبين الشيخ: أن في القرآن شواهد كثيرة على أن دعوته تدخل في المعاملات المدنية، وتتولى إرشاد السلطة السياسية، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة:٥٠]، وكل حكم يخالف شرع الله فهو من فصيلة أحكام الجاهلية، وفي قوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ إيماء إلى أن غير الموقنين قد ينازعون في حُسْن أحكام رب البرية، وتهوى أنفسهم تبدُّلها بمثل أحكام الجاهلية؛ ذلك لأنهم في غطاء من تقليد قوم كبروا في أعينهم، ولم يستطيعوا أن يميزوا سيئاتهم من حسناتهم، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[المائدة:٤٩]، فرض في هذه الآية أن يكون فصل القضايا على مقتضى كتاب الله، ونبه على أن مَن لم يدخل الإيمان في قلوبهم يبتغون من الحاكم أن يخلق أحكامه من طينة ما يوافق أهواءهم، وأردف هذا بتحذير الحاكم من أن يفتنه أسرى الشهوات عن بعض ما أنزل الله، وفتنتهم له في أن يسمع لقولهم، ويضع مكان حكم الله حكماً يلائم بغيتهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[المائدة:٤٥]، وفي آية: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٧]، وفي آية ثالثة: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وفي القرآن أحكام كثيرة ليست من التوحيد ولا من العبادات؛ كأحكام البيع والربا والرهن والإشهاد، وأحكام النكاح والطلاق واللعان والولاء والظهار والحجر على الأيتام والوصايا والمواريث، وأحكام القصاص والدية وقطع يد السارق وجلد الزاني وقاذف المحصنات، وجزاء الساعي في الأرض فساداً.. وذكر الشيخ آيات تتعلَّق بالحرب والسلم والمعاهدات والعلاقات الدولية.

ثم قال: «وفي السنة الصحيحة أحكام مفصلة في أبواب من المعاملات والجنايات إلى نحو هذا؛ مما يدلك على أن مَن يدعو إلى فصل الدِّين عن السياسة إنما تصور ديناً آخر غير الإسلام.

وفي سيرة أصحاب رسول الله -وهم أعلم الناس بمقاصد الشريعة- ما يدل دلالة قاطعة على أن للدين سلطانا في السياسة؛ فإنهم كانوا يأخذون على الخليفة عند مبايعته شرط العمل بكتاب الله وسنة رسول الله.

ولولا علمهم بأن السياسة لا تنفصل عن الدِّين لبايعوه على أن يسوسهم بما يراه أو يراه مجلس شوراه مصلحة، وفي «صحيح البخاري»: «كانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداء بالنبي ﷺ»[1].

ومن شواهد هذا: محاورة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب في قتال مانعي الزكاة؛ فإنها كانت تدور على التفقه في حديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»، متفق عليه، فعمر بن

(١) هو من كلام البخاري في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله -تعالى-: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[الشورى:٣٨]).

الخطاب يستدل على عدم قتالهم بقوله في الحديث: «**فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم**»، وأبو بكر يحتج بقوله في الحديث: «**إلا بحقها**»، ويقول: «الزكاة من حق الأموال»، ولو لم يكونوا على يقين أن السياسة لا يسوغ لها أن تخطو خطوة إلا أن يأذن لها الدِّين بأن تخطوها؛ ما أورد عمر ابن الخطاب هذا الحديث، أو لوجد أبو بكر عندما احتج عمر بالحديث فسحة في أن يقول له: ذلك حديث رسول الله، وقتال مانعي الزكاة من شؤون السياسة!

وكتب السنة والآثار مملوءة بأمثال هذه الشواهد، ولم يوجد - حتى في الأمراء المعروفين بالفجور - من حاول أن يمس اتصال السياسة بالدِّين من الوِجهة العملية، وإن جروا في كثير من تصرفاتهم على غير ما أذن الله به، جهالة منهم أو طغياناً.

أراد الحجاج أن يأخذ رجلاً بجريمة بعض أقاربه؛ فذكَّره الرجل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام:١٦٤]؛ فتركه، ولم يخطر على باله -وهو ذلك الطاغية- أن يقول له: ما تلوته دين، وما سأفعله سياسة!».

ثم قال الشيخ / : «فصل الدِّين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدِّين، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين، وليست هذه الجناية بأقل مما يعتدي به الأجنبي على الدِّين إذا جاس خلال الديار.

وقد رأينا الذين فصلوا الدِّين عن السياسة علناً كيف صاروا أشد الناس عداوة لهداية القرآن، ورأينا كيف كان بعض المبتلين بالاستعمار الأجنبي أقرب إلى الحرية في الدِّين ممَّن أصيبوا بسلطانهم، ونحن على ثقة من أن الفئة التي ترتاح لمثل مقال الكاتب لو ملكت قوة لألغت محاكم يقضى فيها بأصول الإسلام، وقلبت معاهد تدرس فيها علوم شريعته الغراء إلى معاهد لهو ومجون، بل لم يجدوا في أنفسهم ما يتباطأ بهم عن التصرف في مساجد يذكر فيها اسم الله تصرف من لا يرجو لله وقاراً».

الدِّين ليس دائماً مقصوراً على الروحانية:

وإذا نظرنا نظرة أخرى في مقولة: «لا سياسة في الدِّين، ولا دين في السياسة»؛ نرى أنها لا تصدق على كل دين، ومن التبسيط المخل -وربما من الكذب المكشوف- اعتبار الأديان كلها بعيدة عن السياسة، والسياسات كلها بعيدة عن الدِّين.

فليست الأديان كلها مقصورة على الجانب الروحاني أو اللاهوتي، ولا صلة لها بشؤون الحياة، فهذا يصدق في بعض الأديان، ولا يصدق في البعض الآخر، فمن الأديان ما يتصل بالحياة ويشرِّع لها؛ كما في ديانة موسى عليه السلام (اليهودية)، كما يبدو ذلك من الأحكام التي جاءت في التوراة، التي تسمى (الناموس)، وهو ما أعلن المسيح عليه السلام أنه ما جاء لينقض الناموس، فقال: «ما جئت لأنقض الناموس، بل لأتمم».

ففي التوراة تشريعات مختلفة، بعضها يتعلَّق بالأسرة، وبعضها يتعلَّق بالمجتمع، وبعضها يتعلَّق بالعقوبات: «السن بالسن، والعين بالعين...»، وبعضها يتعلَّق بالعلاقات الدولية.

ودين الإسلام جاء بوصايا أخلاقية، وتشريعات قانونية تتعلَّق بأمر الدنيا والحياة، مبثوثة في آيات القرآن، وأحاديث الرسول، وعُني بتفسيرها وشرحها علماء الأمة فيما عرف بـ(آيات الأحكام) و(أحاديث الأحكام)، وفصَّلها فقهاء المذاهب في كتبهم، التي شملت أمور الإنسان فرداً وأسرةً ومجتمعاً ودولةً؛ من أدب الاستنجاء، وأدب المائدة، إلى بناء الدولة، وعلاقاتها مع الأمم والدول الأخرى.

فكيف يقال هنا: لا سياسة في الدِّين؟!

إن أحد أركان الإسلام هو: الزكاة، وهو ركن مالي اجتماعي سياسي؛ لأن الأصل فيها أنها تنظيم تشرف عليه الدولة، تأخذها من الأغنياء وتردها على الفقراء، فالدولة أو السلطة هي التي تجمعها، وهي التي تصرفها في مصارفها الشرعية بواسطة جهاز إداري ومالي، سماه القرآن: ﴿الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾[التوبة:٦٠].

ومن مصارف الزكاة: (المؤلفة قلوبهم)، وهو مصرف سياسي في أصله، يتصرف فيه الإمام (أي الدولة) ليشتري ولاء بعض القبائل والقوى الاجتماعية أو السياسية، أو يحبب إليهم الإسلام، أو يكف شرهم عن المسلمين، أو ليقطع الطريق على أعداء الإسلام أن يستميلوهم إليهم.

كل ذلك عن طريق ما يعطى لهم لاستمالة قلوبهم، وهذا في

معظمه غرض سياسي محض.

ثم إن المسلم يستطيع أن يدخل في السياسة وهو في قلب صلاته التي يتعبد لربه بها؛ بأن يقرأ آيات في صميم السياسة من القرآن، أو يدعو على المستعمرين والحكام الطغاة بدعاء القنوت، وهو ما يعرف عند الفقهاء بـ(قنوت النوازل)، ويعنون بالنوازل: المحن والشدائد التي تنزل بالأمة، مثل: احتلال الغزاة لأرضها، ووقوع الكوارث والزلازل، ونحوها.

السياسة ليست دائماً علمانية:

وإذا ثبت لنا أن الدِّين ليس دائما روحانيّاً خالصاً؛ نستطيع هنا أن نقول بكل وضوح: إن السياسة ليست دائما علمانية، أو لا دينية؛ فكم رأينا من سياسات تتبنى الدِّين وتدافع عنه، وتتحمل أعباء الدعوة إليه، وتذود عن حماه، ثبت ذلك في التاريخ القديم، وثبت ذلك في العصر الحديث.

عرف التاريخ القديم المَلِك قسطنطين إمبراطور روما المعروف؛ الذي كان وثنيّاً، ثم اعتنق النصرانية، وانتصر لمذهب المؤلهين للمسيح ضد آريوس ومن وافقه في التمسك بعقيدة التوحيد.. المهم أنه تبنى العقيدة المسيحية على مذهبه، وطارد أعداءها وأعداءه عقودا من السنين.

وظلت الكنيسة في الغرب توجه الدِّين لعدة قرون؛ حتى قامت الثورة الفرنسية ثائرة على الكنيسة ورجالها، الذين وقفوا مع الجمود ضد التحرُّر، ومع الخرافات ضد العلم، ومع الملوك ضد الشعوب، ومع الإقطاعيين ضد الفلاحين، لهذا ثارت عليهم الجماهير الغاضبة، منادية: اشنقوا آخر مَلِك بأمعاء آخر قسيس!

وفي التاريخ الإسلامي -وخصوصاً عهد الراشدين- كانت السياسة في خدمة الدِّين، وكان الدِّين هو الموجه الأول للفكر، والمحرك الأول للمشاعر، والمؤثر الأول في السلوك، بل كان هذا هو الاتجاه العام في التاريخ الإسلامي كله؛ على تفاوت في الدرجة، ولكن لم يغب الدِّين -أو الإسلام- عن الساحة، ولم يدع السياسة وشأنها تفعل ما تشاء، وتحكم ما تريد، بل كان الإسلام هو أساس القضاء في المحاكم، وأساس الفتوى لجماهير الشعب، وأساس التعليم في المدارس والكتاتيب والجامعات.

أي مستقبل لمسلمي أميركا في مجتمع يرتاب في الإسلام؟!

جاكلين شون، «مجلة المجلة»، ٢٠١١/٣/٢٣

يزداد عدد السكان المسلمين في الولايات المتحدة بضعف معدل زيادة السكان من غير المسلمين، وبحلول عام ٢٠٣٠ سيرتفع عدد المسلمين من ٢.٦ مليون إلى ٦.٢ مليون؛ مما يقوي من العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين.

وفقاً لاستطلاع رأي أجراه مركز بيو للأبحاث عام ٢٠١٠؛ ما زال الرأي الأميركي عن الإسلام متوتراً بالفعل!

وعلى الرغم من أن القراءة المتحيزة لهذه النتائج قد تجعل كثيرين يتوقعون تداعيات سلبية للقيم وللمجتمع الأميركي، من الممكن في المقابل أن تساعد زيادة أعداد المسلمين في أميركا على تحسين وإثراء العلاقة بين المسلمين ومواطنيهم على المدى القصير، ومن الممكن أن يؤثر ذلك على السياسة الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط على المدى الطويل.

يأتي تقرير صدر هذا العام بعنوان: «مستقبل السكان المسلمين في العالم: توقعات من عام ٢٠١٠ إلى ٢٠٣٠» عن منتدى بيو للأديان والحياة العامة؛ في منعطف حرج في الخلاف الأميركي حول سياسة اندماج المسلمين والهجرة.

ألقت تصريحات أعلنتها المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل ورئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون أخيراً؛ تشير إلى فشل أسلوب التعددية الثقافية، بالإضافة إلى التعبير المستمر والمتزايد عن معاداة الإسلام في أوروبا وأميركا، بظلالها على إمكانية استيعاب المسلمين في هذه المجتمعات في المستقبل.

في حين يشكو المسلمون في أوروبا من التهميش إلى حد كبير!؛ بسبب «تداخل الانتماء العرقي مع الجنسية في جميع أنحاء أوروبا»، قال الدكتور جيمس زغبي -من المعهد العربي الأميركي- أمام جمهور من الأوروبيين في جولة ألقى فيها عدداً من المحاضرات

في عـامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦: إن المـسلمين الأميركيـين جـزء مـن تجربـة أميركـا المـستمرة كدولـة مهـاجرين، وعـلى الـرغم مـن أن الولايـات المتحدة استفادت طويلاً من تنوع الثقافات والممارسات والقيم التي يأتي بها الوافدون الجدد؛ فإن المسلمين -مثلهم في ذلك مثل جميع المهاجرين الجدد- عليهم مواجهة التمييز والصعوبات.

وبصفتهم مشاركين فاعلين في هذه التجربة المستمرة؛ يبدو أن المـسلمين الأميركيـين سيحـصلون عـلى فرصـة للنجـاح في الانـدماج بصورة أفضل من نظرائهم الأوروبيين، ولكن تحول دون احتمالات وصول هذه المجموعة المعقدة الفريدة في تنوعها إلى أقصى إمكانية لأن تكون جزءاً من المجتمع الأميركي، عقود من القرارات السياسية الأميركيـة الخاطئـة في الـشرق الأوسـط، وأحـداث ١١/٩، ورد الفعـل العنيف التالي ضد المسلمين الأميركيين، بالإضافة إلى إحباط هجمات على مدنيين أميركيين؛ على سبيل المثال: مخطط النيجيري عمر فاروق عبد المطلب بتفجير طائرة ركاب أميركية في طريقها إلى ديترويت في ديسمبر/كانون الأول عام ٢٠٠٩، ومخطط الباكستاني فيصل شاهزاد؛ الذي حاول تفجير ساحة التايمز سكوير بعد ذلك بعام.

يعتمـد المـستقبل إذن عـلى كيفيـة اسـتجابة الأميركيـين -وأكثـر تحديـداً- وسـائل الإعـلام وأصـحاب الأدوار القياديـة لجـيرانهم المسلمين؛ هـل يستمر الأميركيـون في معـاملتهم كمجموعـة متجانسة تتسم بعدم التحضر والعنف المتأصل ومعارضة في الأساس للقيم الغربيـة؟ كيـف سـتؤثر مثـل هـذه الزيـادة الكبـيرة في العـدد عـلى المجتمعات الأميركية على المدى الطويل؟ وكيف تتحول هذه الزيادة إلى فرصة؟

في دراسته المذهلة والشاملة عن المسلمين في أميركا تحت عنوان: «رحلة إلى أميركا: تحدي الإسلام»، يتناول أكبر أحمد -أستاذ كرسي ابن خلدون في الدراسات الإسلامية في الجامعة الأميركيـة في واشـنطن العاصـمة، والباحـث غـير المقيم في معهـد بـوركينغز- هـذه الأسـئلة والكثير غيرهـا، في محاولـة لفهـم مـا يحققـه المـسلمون في المجتمع الأميركي في الإطار الأكبر لهويات أميركا السائدة.

تقدم دراسة منتدى بيو «مستقبل السكان المسلمين في العالم» أساساً كمياً يمكن من خلاله استيعاب كيفية عمل العناصر التي حللها كتـاب أحمـد في أميركـا بعـد ٢٠ عامـاً مـن اليـوم، وتتـضمن الدراسـة إحصائيات شـاملة عـن حجـم وتوزيـع ونمـو المجتمعـات المـسلمة في جميع أنحاء العالم، مقسمين إلى مناطق ومناطق فرعية.

من المتوقع أن يرتفع نمو السكان المسلمين في أميركا إلى أكثر مـن الـضعف في الأعـوام العـشرين المقبلـة؛ مـن ٢.٦ مليـون إلى ٦.٢ مليـون نـسمة، وبحلـول عـام ٢٠٣٠، ربـما يـصبح المجتمـع المـسلم في حجـم المجتمعـات اليهوديـة أو أتبـاع الكنيـسة الأسـقفية في الولايـات المتحدة اليوم.

يرجع النمو القوي لعدد المسلمين مقارنة بغير المسلمين إلى كثير من العوامل، من بينها: ارتفاع معدلات الخصوبة، وزيادة أعداد مـن يمـرون بـسنوات الإنجـاب الرئيـسة، وتحـسن الأحـوال الـصحية والاقتصادية، وفي حالة أميركا: زيادة معدلات الهجرة.

في الواقـع يـذكر التقريـر أن: «عـدد المهـاجرين المـسلمين يتزايـد عـدداً ونـسبةً بالمقارنـة جميـع المهـاجرين الـذي يحـصلون عـلى إقامـة دائمة بالولايات المتحدة».

وعلى الرغم من أن المسلمين ما زالوا يمثلون نسبة تقل عن ٢ في المائـة مـن إجمـالي عـدد الـسكان؛ فـإن هـذه النتـائج المتوقعـة -إذا تحققت- ستكون مهمة، ليس فقط بالنسبة للسياسة الداخلية والقومية والدولية، بل -أيضاً- من أجل الديناميكيات المجتمعية المحلية، مثل: التعليم، والصحة، والعمل، ووسائل اندماج أخرى في المجتمع.

ونظـراً للمنـاخ الحـالي الـذي يـشوبه انعـدام الثقـة والخـوف بـين العديـد مـن الأميركيـين؛ عـلى الأرجـح أن يـستمر رد الفعـل التـدريجي لهـذه النتـائج في إحـداث انقـسام حـزبي، مهـدداً -كـما يقـول الـبعض- الهوية التي تتمتع بها الدولة ذاتها.

عندما نضع في اعتبارنا أنه يتم تعريف أميركا كبيضاء طوال معظم تاريخهـا -يلعـب هـذا اللـون «عـاملاً مهـمّاً في التمييـز بـين المجموعـات الاجتماعية في أميركا، مثلما تفعل الهوية القبلية في مجتمعات إسلامية والطوائف في المجتمع الهندي»؛ كـما يوضـح أحمـد في كتابـه «رحلـة إلى أميركـا» -، وأن التغـيرات الديموغرافيـة تهـدد بجديـة الـسيادة

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ علينا أن نبدأ في استيعاب بعض نقاط التعقيد التي ظهرت نتيجة لتلك الحقائق.

في حالة المسلمين على وجه التحديد يتثاقل الأمريكيون! السبب الأول هو: أنهم لا يدخلون بسهولة في التصنيف العرقي، وأقل منه التصنيف السياسي، ثانياً: هناك سوء فهم منتشر عن الإسلام بين الأمريكيين؛ لا سيما بعد أحداث ١١/٩، وهو ما حفز العديد من الأمريكيين ضد أي شخص يعتقدون أنه معاد لأمريكا ويعارض القيم الأمريكية، على سبيل المثال: المسلمون العرب؛ حيث يصور كل من وسائل الإعلام وسياسيون وشخصيات أخرى بارزة الدين ذاته في صورة شريرة! يحتاج الشخص أن يستمع فقط إلى مذيعين عبر التلفزيون أمثال غلين بيك وراش ليمبو (الذي تجاوز عدد متابعي برنامجه ١٣.٥ مليون متابع أسبوعيّاً)، وبيل أورلي، أو تذكر حالة جدل شديد حول إقامة مركز إسلامي بالقرب من موقع مركز التجارة العالمي؛ ليجد نماذج على الإسلاموفوبيا بين العامة الأمريكيين.

غالبا ما تعكس وتوضح استطلاعات الرأي العام الآراء المنقسمة التي تدفعها وسائل الإعلام، أحد نماذج هذه الاستطلاعات: ذلك الذي تجريه «واشنطن بوست» و«إيه بي سي» الإخبارية؛ والذي كشف في مارس/آذار عام ٢٠٠٦ أن «أكثر من نصف الأمريكيين يعتقدون أن عدد المتطرفين الذين يستخدمون العنف وينتمون إلى الإسلام أكبر من أصحاب أي ديانة أخرى، وأن هذا الدين يشجع على العنف ضد غير المسلمين».

وكشف مسح الأديان العالمي في مركز «غالوب» الذي أجري في يناير/كانون الثاني أن احتمالية تحيز الأمريكيين ضد المسلمين تبلغ ضعف احتمالية تحيزهم ضد المسيحيين أو اليهود أو البوذيين.

ووفقاً لاستطلاع الرأي الأمريكي -الذي أشار إليه زغبي- اعتقد ٤٢ في المائة من الأمريكيين في نهاية عام ٢٠٠٩ أن المسلمين في الغالب متعصبون دينيّاً.

نتيجة لذلك -كما يشير أحمد-: «تتعامل التعددية الأمريكية؛ التي في البداية اجتذبت المسلمين لهذه البلاد، في الوقت الحالي مع المسلمين بنفور وعدم اكتراث»، وبحلول عام ٢٠٠٩، بعد مرور ما يزيد على سبعة أعوام من الحرب في أفغانستان وستة أعوام على الحرب في العراق؛ هبط المسلمون علناً إلى فئة «السود»؛ بعد انتخاب الرئيس باراك أوباما؛ الذي شبهه المحللون اليمينيون بهتلر، ووصف -أيضاً- بالماركسي المسلم.

ومع نهاية عام ٢٠١٠ كان واحد من بين كل خمسة أمريكيين يعتقد أن أوباما مسلم، وذلك ما كشفه استطلاع رأي أجراه منتدى «بيو» عن الدين والحياة العامة في أغسطس/آب عام ٢٠١٠.

يحدث كل ذلك على خلفية من الشقاق المتزايد بين الجمهوريين والديمقراطيين، والذي تبنى فيه الجمهوريون خطاب معاداة المسلمين لحشد قاعدة تأييد لهم، ويكافح الديمقراطيون من جانب من أجل مهاجمة مواقف خصومهم، ومن جانب آخر من أجل الحفاظ على توازن بين الأمن وسياسة التعاون الدولية في ضوء حقوق الإنسان والاحترام المتبادل.

ولكن في هذه النقطة تبدو بعض سياسات أوباما متشابهة إلى حد كبير مع بوش الابن (حيث يستمر تسليم المعتقلين، واستخدام أسلوب «أسرار الدولة» لإبعاد معتقلين سابقين في السي آي إيه، وتعريف عام للامتيازات التنفيذية، وغيرها الكثير)، مما يشير إلى أن أوباما ترك عن عمد بعض الغموض في وعد حملته بتغيير سياسات عهد بوش، وأن عدم خبرته نالت منه مثلما توقع الكثيرون.

وقال زغبي في لقاء مع «المجلة»: «يعتمد دور الأمريكيين المسلمين في المستقبل بدرجة ما على ما إذا كان الجمهوريون سيستمرون في تقديم (أجندتهم) التي تروج للإسلاموفوبيا» لحشد قاعدتهم.

وبقدر ما سيفعلون ذلك؛ سيعمقون من مخاوف ناخبيهم غير المنطقية من الإسلام، ويعمقون من إبعاد المسلمين، ويحبطون إمكانية الاستيعاب الطبيعي والسريع للمسلمين في الشارع الأمريكي».

وقال -أيضاً- إنه: «إذا تمكنا من تجاوز هذا -وأعتقد أننا نستطيع، بل ويجب أن نتجاوزه- ستصبح الجالية المسلمة أمريكية بالكامل بحلول عام ٢٠٣٠، وستكون مندمجة على جميع مستويات المجتمع، مثل جميع الجاليات الدينية الأخرى من قبلها.. وإذا لم

نفعل، فربما نمر بوقت عصيب».

وما يزيد من تعقيد المناخ العدائي في الداخل السياسة الأميركية في الخارج؛ لا سيما في الشرق الأوسط؛ حيث تنتهج الحكومة منذ عقود سياسات تهدف إلى حماية وتقوية إسرائيل، وتحافظ على وصولها إلى النفط؛ على حساب السكان المحليين.

ولأن الأميركيين المسلمين يتأثرون بصورة مباشرة بسياسة الشرق الأوسط؛ يمكننا بالتأكيد أن نتوقع رؤية عدد منهم متحداً مع الأمة الإسلامية على حساب الجنسية والحزب؛ إذا استمرت الدول الغربية في الاستفادة من الدول الإسلامية.

وليس مفاجئاً أن المسلمين الأميركيين من تونس إلى البحرين إلى الولايات المتحدة توحدوا في مواجهة ما لم يتمكنوا من تفسيره سوى بأنه هجوم غربي على الإسلام.

وعلى الرغم من ذلك؛ يندمج الأميركيون المسلمون بصورة جيدة في المجتمع على المستوى المحلي، وسيستمر هذا الاتجاه طالما تقوم الحكومة الأميركية والأميركيون بما في استطاعتهم لمواجهة الأفكار السلبية عن الإسلام.

وبدلاً من اعتبار زيادة عدد الأميركيين المسلمين تهديداً «يجب أن يصبحا مصدراً للاحتفاء، بدلاً من الخوف..»، كما نقلت «التايمز» عن محمد عبد الباري -الأمين العام للمجلس الإسلامي في البحرين-.

يجب أن تكون الأسئلة التي يطرحها الأميركيون على أنفسهم الآن هي: ماذا يمكننا أن نتعلمه من المسلمين؟ وماذا يمكنهم إضافته لمجتمعنا؟ وكيف يمكن لوجودهم المتزايد في مجتمعاتنا تعزيز الديمقراطية؟

إذا شعر المسلمون بالترحيب، ودعوا إلى الانضمام إلى العديد من المجتمعات الأخرى التي تجعل أميركا بلداً فريداً؛ سيشعرون بأن لهم -أيضاً- نصيباً من النجاح، سيشعرون بالفخر -أيضاً-، وسيتصرفون وسيصبحون ممثلين لأميركا في الشرق الأوسط؛ وهو ما تحتاج إليه أميركا بشدة.

بالإضافة إلى ذلك؛ يجب أن تمنح الجالية المسلمة المتنامية للزعماء الغربيين دافعاً لجعل سياساتهم تتماشى مع المبادئ التي يدعون إليها؛ حتى تتمكن الأقليات المختلفة المتزايدة في دولهم من العمل معهم، بدلاً من العمل ضدهم.

حزب «الدعوة» والإرهاب الإيراني في الشرق الأوسط

داود البصري، «السياسة» الكويتية، ٢٦/١٠/٢٠١٠

ثمة سؤال حرج وحائر ومقلق بات يؤرق الكثير من متابعي تعرجات ومسارات السياسة الكونية الأميركية وهو: هل أن مخططي سياسة واشنطن أغبياء؟ أم أنهم يتغابون؟ أم ماذا بالضبط؟

وطبعاً هذا التساؤل يتعلق أساساً بارتكاب السياسة الأميركية سلسلة من الأخطاء الكارثية، والتي أهمها: تسليم العراق أرضاً وشعباً ومقدرات على طبق من ذهب ومجاناً للنظام الإيراني؛ الذي وجد في العراق المجال الحيوي المناسب للتمدد والانطلاق الإقليمي، والقيام بمناورات واسعة فيه وحوله، وبما يخدم في النهاية توجهات السياسة الإيرانية، ويؤكد البعد الستراتيجي الكبير لساسة نظام الحرس الثوري في طهران.

والجواب عن السؤال -بتقديري- ليس صعباً بالمرة، بل إنه واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، ويتلخص بكلمة «لا» مغلظة، فالخطأ وهوامشه والغباء ومشتقاته لا وجود لها أبداً في عالم الستراتيجيا الأميركية الواسع والغامض والمجهول، بل إن ما هو موجود فعلاً هو: الخبث المبرمج والمخطط، والمقترن بأدوات تنفيذ تعتمد على المراحل الزمنية، وعلى المفاجآت السياسية في تحقيق أهدافها، وقيام الولايات المتحدة بكل ثقلها بدعم الجماعات الإيرانية الولاء في العراق، وتسليمها السلطة، واسباغ الحماية الأميركية على رجالها ومؤسساتها ليست عملية ساذجة، بل إنها تنبع أساساً من تخطيط ستراتيجي بعيد المدى، قد لا ندرك أهدافه الحقيقية اليوم؛ لكنه بالمقابل يعبر عن خطط وتطلعات وترتيبات مستقبلية لا يمكن للعين الخبيرة التغاضي عن ملاحظة إرهاصاتها التكوينية وملامحها العامة.

ولعل المعلومات التي نشرها موقع «ويليكوكس» بشأن

العمليات الأمنية والاستخبارية الأميركية في العراق، ومنها: تلك المتعلقة بدور رئيس الوزراء العراقي المنتهية صلاحيته وحزبه «الدعوة» في دعم وتشكيل فرق الموت المتنقلة؛ ليست سوى جانب بسيط من الصورة الحقيقية لطبيعة تنظيم حزب «الدعوة» أو النسخة الشيعية لجماعة «الإخوان المسلمين».

فهذا الحزب الذي تأسس في عصر سيادة الأفكار الاشتراكية واليسارية، وكانت للمخابرات البريطانية وحتى الإيرانية السابقة «السافاك» أياد طويلة في تأسيسه ورعايته وتنظيمه، ومن ثم دفعه لمقدمة الصفوف هو: حزب طائفي فئوي، ذات طبيعة فاشية، يعتمد جميع الوسائل لتحقيق أهدافه، ولا يتورع عن ممارسة الإرهاب للوصول لمبتغاه، والقضية ليست مجرد اتهامات مرسلة ومواقف شخصية عدائية؛ كما يحاول البعض وهو يسفه المقالات المنتقدة لذلك الحزب وأشباهه من الأحزاب الدينية والطائفية، بل إنها حقائق ميدانية يساند مصداقيتها تاريخ المنطقة القريب الحافل بكل صيغ وصور الإرهاب الحقيقي؛ الذي تمثله نشاطات ذلك الحزب.

لن أتكلم أنا ولن أعرب عن رأيي الخاص، بل سأترك الحرية للتاريخ الذي لا يجامل أحداً؛ لكي نستعرض من خلال أحداثه القريبة، والتي عشنا جميع تفاصيلها ومنحنياتها بعضاً ونتفاً من النشاطات الإرهابية لحزب «الدعوة» في الشرق الأوسط؛ والذي أصاب في معظمها المصالح الأميركية في المنطقة بضرر جسيم، بينما نرى اليوم قادة الولايات المتحدة وهم يدعمون قادة هذا الحزب، ويوفرون الحماية اللازمة له، بل ويغضون النظر تماماً عن أفعاله الإرهابية وتحالفاته الإيرانية في نسخته الجديدة المنقحة والمعدلة.

وإليكم أيها السيدات والسادة حديث التاريخ؛ وهو الذي لا يعرف المداهنة ولا النفاق، فتأملوا يا أولي الألباب!

لقد بدأ حزب «الدعوة» الإسلامية نشاطه العسكري العلني منذ أواخر عام ١٩٧٩؛ حينما صدر قرار من إيران بضرورة إشعال الثورة الإسلامية في العراق؛ والتي كان مخططا لها أن تغزو دول المنطقة؛ وخصوصاً دول الخليج العربي، وفقاً لبرنامج مكتب حركات التحرر في طهران؛ والذي قام بتوفير الدعم المادي واللوجستي، وإصدار جوازات السفر الخليجية للعناصر المرتبطة بهم، والإعداد لتفجير الساحة وقلب الأنظمة، وشهدت شوارع المدن العراقية -وخصوصاً في الجنوب- اشتباكات مسلحة بين السلطة وعناصر الحزب، أسفرت عن متابعات وملاحقات أمنية وصلت لحدود التصفية الشاملة؛ بعد أن عجز حزب الدعوة عن إسقاط السلطة، ولاذ بإيران طلباً للنجاة؛ خصوصاً ولا سيما أن الأسلوب الأمني الذي اتبعه نظام صدام حسين في العراق كان قاسياً لا يعرف الرحمة؛ بعد التشدد في تطبيق أحكام الإعدام، وكانت المواجهة قاسية لم تراع الظروف الميدانية التي كانت تؤكد بعد إمكانية كسب المعركة ضد نظام البعث العراقي؛ الذي كان شرساً وقويّاً وقتذاك.

وبعد الانسحاب صوب إيران لم تهدأ الماكينة التنظيمية للحزب والموجهة من طهران أساساً، وجنحت صوب اللجوء لخيارات عمل عسكرية لا يمكن وصفها سوى بالإرهاب، وحيث يسجل التاريخ ريادة حزب «الدعوة» في استعمال السيارات المفخخة كإحدى أهم وسائل الإرهاب الدولي؛ الذي تعاظم في مرحلة الثمانينات من القرن الماضي، فكان حزب «الدعوة» هو أول تنظيم إرهابي استعمل الشاحنات المفخخة في أعماله العسكرية، والتي كان أهمها: تفجير السفارة العراقية في بيروت، في ١٨ ديسمبر عام ١٩٨١؛ والتي نفذها إرهابي عراقي تابع لحزب الدعوة اسمه: «أبو مريم»، بشاحنة مفخخة، وعن طريق تعاون استخباري بين المخابرات الإيرانية، ولوجستي من المخابرات السورية؛ التي كانت محتلة لبيروت.

وقتذاك وكان من اعترف بتدبير تلك العملية هو تنظيم «الجهاد الإسلامي»؛ والذي هو في حقيقته حزب الدعوة الإسلامية، وكان يشرف على تنفيذ تلك العملية الإرهابية الكبرى -التي كانت تحولاً في تاريخ تطور الإرهاب في المنطقة- أحد قيادات حزب الدعوة الحاليين، وعضو البرلمان العراقي الحالي السيد علي الأديب، أو علي زندي؛ الإيراني الجنسية، والعقيد في الحرس الثوري الإيراني، والمرشح لرئاسة الحكومة العراقية أيضاً!

والغريب بل المقرف! هو: أن الوكيل الأقدم لوزارة الثقافة العراقية الحالي المدعو جابر الجابري -وكان اسمه الحركي: «أبو

مدين الموسوي» وهو أحد شعراء حزب «الدعوة» - كان قد نشر قصيدة وقتها يشمت فيها بالشاعر العربي الراحل نزار قباني؛ الذي فقد زوجته السيدة بلقيس، الراوي في ذلك العمل الإرهابي، ويقول مطلع قصيدة وكيل الوزارة المحترم «بلقيس أنت قتلتها...»، أي أن عناصر «الدعوة» كانت تعتبر ذلك العمل الإرهابي ملحمة نضالية خالدة.

طبعاً كانت تلك العملية تحولاً كبيراً في تاريخ العمل الإرهابي في الشرق الأوسط، ويقال بأن منظمة التحرير الفلسطينية - التي كانت قواتها تسيطر على المنطقة وقتذاك؛ قبل الدخول الإسرائيلي - تمتلك معلومات مفصلة عن الأطراف القيادية في حزب «الدعوة» التي نفذت تلك العملية.

ثم ظهر الدور الإرهابي الجديد لحزب «الدعوة» مع التفجير الانتحاري في قلب بغداد، والموجه ضد وزارة التخطيط العراقية في يونيو عام ١٩٨٢، بهدف القضاء التام على إمكانية عقد مؤتمر دول عدم الانحياز في بغداد ذلك العام؛ والذي نقل لنيودلهي، وقد نفذ العملية هذه المرة تحالف الجماعات الطائفية المرتبطة بإيران والنظام السوري -أيضاً-، فقد تم تجنيد المدعو «أبو بلال» من قبل حركة «المجاهدين العراقيين» -التي تشرف عليها المخابرات السورية والإيرانية- لتنفيذ تلك العملية، وتم إدخال المتفجرات لبغداد، كما تم تخليد الإرهابي بإطلاق اسمه على مكتب المجاهدين العراقيين في حي الأمين الدمشقي؛ والذي كان السيد الوزير الحالي باقر صولاغ الحاج أبو محمد أحد قياداته الفاعلين.

ثم جاء تفجير مبنى الإذاعة والتلفزيون في الصالحية ببغداد -أيضاً-! وجميع تلك العمليات تمت بالشاحنات الانتحارية، أي أن أهل حزب «الدعوة» هم أول من أدخل الإرهاب الانتحاري السائد حاليّاً للمنطقة، بدلالة التاريخ وليس الاتهامات العائمة.

في الكويت وبتاريخ لا يمكن أن ينسى وهو: ١٢/ ١٢/ ١٩٨٣ كانت الانعطافة الكبرى في تاريخ الإرهاب الإقليمي وحتى الدولي؛ حيث قام انتحاري من حزب الدعوة ومن أهل البصرة اسمه: رعد مفتن عجيل بتفجير شاحنة مفخخة، كان يقودها في مقر السفارة الاميركية القديم، في بنيد القار صبيحة ذلك اليوم، والتي شهدت الكويت خلاله سلسلة من العمليات الإرهابية المتزامنة الأخرى في السفارة الفرنسية، وبعض المنشآت الوطنية الكويتية، وحيث سقط العديد من القتلى الشهداء.

ودخلت الكويت في واحدة من أكبر تحدياتها الأمنية في التاريخ الحديث، وبما انعكس بشكل حاد على الأمن الإقليمي؛ وحتى على الوضع الداخلي، كان المنفذون من حزب الدعوة وفي طليعتهم: القيادي الهارب جمال جعفر محمد؛ الذي هو اليوم مستشار أمني وعسكري لفيلق القدس الإرهابي التابع للحرس الثوري، وتم إلقاء القبض على المتورطين.

ولكن المحاولات الإرهابية لم تنقطع واستمرت سجالاً، وكانت أخطرها على الإطلاق: محاولة اغتيال أمير الكويت الأسبق الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح، في شارع الخليج العربي يوم ٢٥/ ٥/ ١٩٨٥، وبالتكتيك السابق نفسه؛ وهو السيارات المفخخة التي اعترضت موكب الأمير، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها، وكان المخطط لذلك -أيضاً- هو جمال جعفر محمد، وبقية العصابة في حزب الدعوة، أو التنظيمات المنشقة عنه والحاملة لأفكاره وتراثه ومنطلقاته الآيديولوجية.

وعاد الدعويون لتفجير الكويت -أيضاً-، وكان ذلك يوم ١٢/ ١/ ١٩٨٧؛ حيث انفجرت سيارة مفخخة خلف فندق «الميريديان» المخصص للضيوف من الإعلاميين في مؤتمر القمة الإسلامي في الكويت!

وطبعاً لن نتحدث عن خطف الطائرات كـ «الجابرية» و«كاظمة»؛ والتي وقف خلفها حزب الله اللبناني؛ الذي هو على المنظومة الفكرية والمنهجية والولائية نفسها لحزب الدعوة.

واستمر الحال سجالاً حتى الغزو العراقي للكويت؛ والذي بدل الكثير من عناصر وأدوات اللعبة الإقليمية والدولية، وغير اتجاهات الصراع بشكل جذري، وأسس لمرحلة جديدة ومختلفة تماماً من التعاملات الدبلوماسية.

وبعيداً عن أي متبنيات أو عوامل فكرية وسياسية؛ فإن ما ورد في الوثائق الأميركية حول نشاطات إرهابية مفترضة لحزب رئيس

الوزراء العراقي المنتهية صلاحيته لا يمثل في حقيقة الأمر إلا النزر اليسير من تاريخ إرهابي حافل وموثق؛ إذ تظل الوثائق الاميركية -التي يقال: إنها سرية- مجرد «شخابيط.. ولخبط لخابيط»، وما خفي أعظم!

وهْم «الأغلبية الشيعية»

خليل علي حيدر، «الوطن» الكويتية، ٢٠١١/٣/١٩

مـن البحـرين إلى لبنـان والعـراق يـصدق الكثـيرون وهْـم: «الأغلبيـة الـشيعية»! ويبنـون عليهـا مختلـف الحـسابات الـسياسية والاجتماعية، هؤلاء -للأسف- ينظرون إلى الجزر الشيعية الصغيرة، ويغفلون عن محيط واسع من العرب والمسلمين غير الشيعة!

فمهما بلغت نسبة الشيعة في هذه الدول؛ حتى لو بلغت مئة بالمئة؛ سيبقى الشيعة قطرة من بحر، وكتلة سكانية «مذهبية»، في أغلبية كاسحة غامرة.

إيران نفسها ضحية وهْم كبير من هذا القبيل؛ فهي تنظر فقط الى ما أن تحب أن تراه، وتغفل عن أهل السنة داخل إيران وخارجها، وأن نسبة الشيعة لا تزال ضئيلة جدّاً مقارنة بعدد بقية المسلمين في العالم.

واذا كان عدد سكان إيران -مثلاً- ثمانين أو حتى مئة مليون نسمة؛ فإن دولة واحدة مثل: أندونيسيا سكانها نحو مئتي مليون نسمة، دع عنك بنغلاديش وماليزيا وغيرها!

مشكلة الشيعة ليست في أنهم أقلية صغيرة جدّاً -إن كانوا أغلبية في بعض البلدان- بل مشكلتهم كذلك تاريخية وفقهية واجتماعية ومذهبية، كما أنها اليوم -ومنذ الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩- سياسية كذلك؛ بسبب تسييس المذهب الشيعي، وتعبئة شباب الشيعة وبعض نخبهم الدينية والأكاديمية والقيادية، فتعمقت بذلك الشكوك ضدهم، وازدادت المخاوف.

الشارع العربي والشارع في العالم الإسلامي لا تقوده النخب المتسامحة المستنيرة والمتفهمة للاختلافات المذهبية والتنوع الديني والثقافي، ومن كان من هؤلاء في سدة القيادة؛ حاصرته التطورات والفتن، وأسكتته الأحداث!

عندما بدأت الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ استقطبت عواطف العرب والمسلمين إلى أقصى حد، وقدمت إيران «الإسلامية» نفسها لقيادة العالم الإسلامي، ولكن الحقائق والمخاوف المذهبية والسياسات عزلت الثورة، وأبعدت معظم العالم العربي والإسلامي عن هذه الثورة، وبرهنت بشكل قاطع للإسلامي والعلماني والليبرالي بأن «الأقلية المذهبية» لا تستطيع أن تقود ثورة إسلامية بالشكل الذي أعلنته القيادة الإيرانية وأدبيات ثورتها، وحتى داخل إيران نفسها عادت الثورة إلى قواعدها الإيرانية ولغتها وثقافتها ومصالحها الإقليمية، وإلى الدروس الثمينة التي استوعبتها من معاركها العسكرية مع العراق، وصراعاتها السياسية مع الواقع السياسي في دول الجوار وعموم العالم الإسلامي.

هذه التجربة الإيرانية الشيعية لم يستوعبها -للأسف الشديد- شيعة العالم العربي؛ لا في لبنان، ولا في العراق، ولا الكويت والبحرين!

ويتلخص أهم دروس التجربة أنه:

١- **لا تستطيع المجتمعات العربية والإسلامية** تجاهل الاختلاف المذهبي الشيعي - السني في التحرك السياسي الكبير.

٢- **لا يستطيع الشيعة ولا ينبغي لهم** قيادة أي معارضة سياسية وطنية الأفق؛ منفردين أو بشكل رئيسي؛ إذ لا مهرب من إثارة بعض المخاوف والحساسيات المذهبية داخل مجتمعاتهم.

٣- **مخاوف «الشارع السني» من أي حركة يقودها الشيعة** أكبر من مخاوفهم من أي نظام سياسي قائم؛ مهما كانت تجارب الناس مع هذا النظام.

٤- **من الخطأ أن يطرح الشيعة** مطالب سياسية تتجاوز مطالب أهل السنة، أما الخطأ الأكبر فهو: طرح شعارات يختلف الشيعة أنفسهم حولها، مثل: «الجمهورية الإسلامية» أو «ولاية الفقيه».

٥- **هناك نخبة معارضة ليبرالية أو قومية أو يسارية** تؤيد التغيير مهما كانت الانتماءات المذهبية لقيادتها، ولكنها في أغلب الأحوال نخبة محدودة الحجم والتأثير.

٦- **لدى تساوي كل عوامل ومعطيات النجاح والفشل** في التحرك السياسي داخل المجتمعات العربية والإسلامية؛ فان الأرجح

والأنجح انقياد الشيعة للسنة.

خاتماً؛ هذه كلها استنتاجات شخصية، وربما انطباعات بحاجة الى دراسات تحليلية واحصائيات، وهذه متروكة للباحثين.

البيت الإيراني من زجاج

علي الشريفي، «الوسط» البحرينية، ٢٠١١/٣/٢

قد أتفهم ويتفهم غيري أن تقوم دول غربية بدعم حركات التغيير في الشرق الأوسط والعالم العربي، لكن ما لا أفهمه أن تقوم إيران بتشجيع هذا التغيير في بلدان أخرى!

وسبب تفهمي هو: أن الغرب قدم للعالم على مدى ثلاثة قرون نموذجاً ناجحاً لنظام الحكم يعتمد على الديمقراطية واحترام الحريات العامة والخاصة، فأصبح هذا النموذج هو الأنجح (حتى الآن على الأقل) لكل الشعوب مهما اختلفت طرق الحكم فيها؛ خصوصاً بعد أن تفوق هذا النظام في الحكم على نماذج أخرى منافسة كان في مقدمتها: الأنظمة الشمولية من أقصى اليسار؛ كالماركسية - الشيوعية، إلى أقصى اليمين؛ كالدينية - الثيوقراطية.

هنا ليس هدفنا الدفاع عن الدول الغربية، بل عن نماذج تستلهمها تجارب إنسانية تأسست عليها هذه الدول، وهذا لا ينفي موقف شعوبنا المشروع تجاه السياسات الخارجية لعدد من دول العالم الغربي بشأن قضايانا الاستراتيجية، مثل: فلسطين، ولكن هذا لا ينفي أن المواطن في تلك البلدان يحظى بحقوق وكرامة قَلَّ توافرها في أماكن أخرى.

وكمسلم قبل أن أكون عربياً كنت أتمنى أن يكون لبلداننا الإسلامية (ومن بينها: إيران) نماذجها التي تحترم الحريات العامة والحقوق الأساسية للمواطن؛ وذلك لأن إيران دولة حضارية، ولديها شعب يعد من أعرق الشعوب التي علمت العالم الفنون والآداب والعلوم على مدى عشرات القرون الماضية، لكن الوضع الحالي في إيران لا يمكن أن يعد نموذجاً لأي شعب تواق للحريات العامة وحقوق الإنسان؛ وخصوصاً أن هناك في إيران حالياً حركة شبابية وتطلعات مجتمعية يتم تجريمها لأنها تستخدم الإنترنت، وتتحاور مع وسائل الإعلام العالمية، وتم تشريد واعتقال وقتل معارضين في شوارع طهران؛ حتى وصل إلى درجة مأسسة القضاء للحكم بحبس وإعدام المحتجين والمناوئين له؛ حتى وإن كانوا مصلحين من داخل النظام، ومن أبناء الثورة الإسلامية ذاتها؛ ما عكس نموذجاً للأنظمة الشمولية في العالم.

إن ما تقوم به إيران من خلال قنواتها التلفزيونية من دعم لثورات شباب الفيسبوك والإنترنت في بلدان أخرى، وما يقابله من تعتيم شبه كامل عما يجري داخل إيران من احتجاجات وقمع منظم للتظاهرات المطالبة بالحرية والديمقراطية؛ يؤكد أن هناك من هو مستعد دائماً وأبداً للعب بملعب الديمقراطية على شرط أن تكون خارج ساحته.

إن من يمنع أبناء وطنه من وسائل الإنترنت، ويعاقب من يعبّر عن رأيه للإعلام العالمي لا يصلح أن يكون شاهد حق لما يجري في دول أخرى.

لا أحد يستطيع أن يمنع الشعوب التواقة للتغيير من حقها في البحث عن دعم لمطالبها؛ إن كان إعلامياً أو سياسيّاً، لكن ليس من حق أي نظام ولا سيما الأنظمة الشمولية أن يدافع عن مطالب شعوب يرفض على شعبه المطالبة بها، وهذا ما شاهدناه على مدى الأشهر الماضية.

إن ما حصل يدفعنا لأن نسأل: لو افترضنا أن الشعب الإيراني تجمع سلميّاً في «ميدان انقلاب» في طهران كما تجمّع الناس في ميدان التحرير بمصر؛ كيف كان سيتم التعامل معهم؟

الإجابة سأتركها للقارئ...

الحضور الإيراني في المشهد البحريني

محمد المختار الفال، «الوطن» السعودية، ٢٠١١/٣/٢٧

ليس مقبولاً ولا منطقيّاً أن يقلل أي تحليل منصف من وجاهة وأحقية جزء من شعب البحرين في المطالبة بإصلاحات في بلده وفق الأنظمة والقوانين المعمول بها.

وهذا ما أيدته وأعلنته حكومة البحرين حينها، ورأت صوابيته

ومعقوليته؛ وبالتالي فإن الرأي القائل بأن المحرك للاضطرابات هو العامل الخارجي فقط؛ لا يعبر عن الواقع، ويتجاهل ما تقر به الحكومة وتعلنه المعارضة.

ولكن في الوقت نفسه؛ فإن تجاهل وتجاوز المؤثر الخارجي لا يساعد على قراءات الأحداث بصورة موضوعية؛ تعين على الفهم وتبحث عن المخارج من الأزمة، بالإضافة إلى أنه إنكار لترابط مصالح جهات خارجية متعددة لها حضورها على الساحة البحرينية.

وبغض النظر عن حقيقة الاتهامات الموجهة إلى المعارضة البحرينية، وتأثرها بالقرار الإيراني؛ فإن المتفق عليه بين المتابعين لهذا الواقع: أن البحرين منطقة حساسة «للالتهابات» الطائفية، تنخفض حرارتها حين تبرد رياح الشاطئ الشرقي للخليج، وتعاودها «الحمى» حين ترتفع درجة حرارة تلك الرياح.

وقد يكون من المفيد في قراءة الأحداث أن نذكر بسياسة عرفت بها إيران خلال العقود الماضية، وهي: سياسة «تحريك الجبهات الداخلية» في الدول المناهضة؛ لتحقيق مكاسب إقليمية حين تأتي الفرص.

هذه السياسة اتبعتها إيران أيام الغزو السوفيتي لأفغانستان؛ لأنها أقل «تكلفة» مقارنة بتكاليف الدخول في الصراع المسلح، فقد استطاعت إيران أن تجعل من الأحزاب والقبائل الشيعية في المسرح الأفغاني رقماً حاضراً وقت جني المكاسب؛ حين تراجعت القوة الغازية، وبدا تقسيم «الغنائم».

كانت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها يخوضون الحرب ضد الاتحاد السوفيتي؛ من خلال أحزاب «المجاهدين» ومن يقف وراءهم؛ بالدعم المالي والإعلامي وغيره، وكانت إيران تكتفي بالمراقبة، ودعم الموالين لها بالمساعدات اللوجستية التي تعينهم على حدود الحركة، والمحافظة على كيانهم دون إرهاقهم أو إضعافهم في ماكينة الحرب القتالية.

وحين انهزمت العسكرية السوفيتية وحانت لحظة الغنائم؛ برز النشاط الإيراني على الساحة، وجاءت الأحزاب المتحالفة معها للمشاركة في «ترجيح» موازين القوة، وأصبح لها حظوظها في العملية السياسية الأفغانية.

وحين برزت طالبان -بكل أخطائها وتمثيلها المشوه للإسلام- **قوة منافسة للمشروع الإيراني في المنطقة**؛ لم تخض طهران معارك مسلحة ضدها، واكتفت بتنشيط الحلفاء في الداخل، وتركت غيرها يخوض المعارك.. ولم يظهر دورها إلا عندما دخلت الولايات المتحدة الساحة ضد طالبان عام ٢٠٠١م؛ فإذا بإيران تقدم «التسهيلات» الخفية للقضاء على نظام طالبان الضد الاستراتيجي في المنطقة..

وتكررت السياسة نفسها -سياسة استثمار الوقائع- على المحيط الجغرافي، وتشجيع القوة المناهضة للعدو الإقليمي للقضاء عليه أو إضعافه؛ باعتبار أن «العدو» الدولي مهما طالت العداوة معه فمصيره الخروج.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذا الدور لم تكن تلعبه إيران الرسمية، بل أسند إلى أذرعها شبه الأهلية القادرة على التواصل مع الفعاليات الشعبية؛ دون تحميل الدبلوماسية الرسمية ما يترب على هذا الدور من مخالفات لا تتناسب مع العلاقات الدبلوماسية بين الدول..

ويلاحظ المتابعون للشأن البحريني أن سياسة توظيف «القوة الخفية» ظلت فاعلة في تحريك المعارضة على المستوى المعنوي على الأقل؛ روحيّاً وإعلاميّاً، وزادت نبرة هذا التدخل في إطار استثمار أجواء الثورات العربية التي اندلعت مع مطلع هذا العام.

والسؤال المطروح الآن بصورة ملحة: ما هو تأثير دخول قوات درع الجزيرة إلى البحرين على الموقف الإيراني الرسمي من الأحداث؟ أو بصورة أخرى: كيف ستواجه إيران -عمليّاً- دخول دول مجلس التعاون الخليجي في صلب المشكلة البحرينية، وعدم الاكتفاء بالتأييد والدعم المالي والسياسي؟

هل ستتجه إيران إلى دفع المعارضة إلى المزيد من التدخل والتشدد، والتمسك برفع المطالب التي ترى حكومة البحرين أنها تخرج المشروع الوطني من حدود الإصلاح المقبولة إلى الالتقاء مع الأهداف الخارجية؟ وفي المقابل هل يمكن بالدبلوماسية أن تسهم إيران في تهدئة الأوضاع على الساحة البحرينية خدمة للمطالب

الإصلاحية، وفي إطار شعار «حفظ أمن الخليج لأهله»؟

وفي كل الأحوال البحرين الآن -بكل تعقيدات واقعها على المستويين الرسمي والشعبي- تطرح وحدة دول مجلس التعاون على المحك، وتختبر صلابة موقف الدول، وتستدعي نظرات جديدة لنظام المجلس -على المستوى الأمني-؛ الذي كان يرتكز على التعاون لدفع التهديدات الخارجية، ولم تكن الأوضاع الداخلية لدول المجلس تشكل تحدياً؛ إذ إن الأجهزة الأمنية كان بينها من التعاون والتنسيق وتبادل المعلومات ما بلغ درجة عالية من التناغم والانسجام؛ لكنها المرة الأولى التي تشترك الدول مجتمعة -من خلال درع الجزيرة- لمعالجة قضية أمنية داخلية؛ وإن كان سببها تدخلاً خارجيّاً.

وبهذا تطرح أحداث البحرين واقعاً جديداً؛ سيفرض نفسه على المجلس ونظامه.

«إخوان البحرين» يدعون إلى كونفدرالية خليجية

سارة رفاعي، «موقع إيلاف»، ٢٠١١/٣/٢٨

دعا الأمين العام لجمعية المنبر الوطني الإسلامي (إخوان مسلمين) الدكتور عبد اللطيف الشيخ إلى ضرورة الوحدة الخليجية؛ وذلك عن طريق اتحاد كونفدرالي يضم كل دول مجلس التعاون الخليجي، تلبية لطموحات وتطلعات الشعوب الخليجية في اقتصاد موحد، وسياسات نفطية واحدة، وتوحيد الجهد الأمني؛ لتعزيز الأمن والاستقرار، وسياسة خارجية واحدة معبّرة عن الشعوب الخليجية، معلناً عن دعمه كل الدعوات الرامية إلى ذلك؛ سواء داخل البحرين أو خارجها، وفي مقدمتها: دعوة تجمع الوحدة الوطنية.

وطالب الشيخ بضرورة إزالة الحدود التي افتعلها الاستعمار لتقسيم البلاد الإسلامية والعربية إلى دويلات ضعيفة غير قادرة على مواجهة المخططات المعادية للمنطقة، وحتى لا تستطيع أن تكون هذه الدول فاعلة في النظام العالمي.

كما طالب بأن تكون هناك وثيقة سفر واحدة لكل أبناء الخليج، وأن ترفع القيود المفروضة بين الدول، وأن يتم تفعيل السوق الخليجي المشترك، وإقامة مشروعات اقتصادية تخدم المنطقة بأسرها.

وأكد الشيخ أن العالم اليوم تحكمه التكتلات القوية، وأنه لامكان للدول الصغيرة على خريطة صناعة القرار في العالم، وأن على الأنظمة الخليجية أن تدرك أن توحدها سيجعل منها رقماً صعباً في المنطقة والعالم، خاصة وأن لديها الكثير من المقومات والإمكانات التي تمكنها من إنجاح هذه الوحدة والتكتل غير موجودة لغيرها من التكتلات؛ كالدين، واللغة، والناحية الاقتصادية، والموقع الجغرافي.

ودعا إلى ضرورة الإطلاع على تجارب الآخرين في ما يتعلق بوحدة الدول، وذلك للاستفادة من هذه التجارب وأخذ منها ما يفيدنا ويتلائم مع ظروفنا.

وأشار الشيخ إلى أن منطقة الخليج العربي تتعرض إلى مخططات ومؤامرات وأطماع خارجية إيرانية، تتطلب وحدة خليجية واحدة لمواجهة هذه الاخطار المحدقة بالمنطقة بكل قوة وحزم؛ خاصة أن مصيرنا واحد، وأن أي تهديد تتعرض له أي دول خليجية هو في حد ذاته تهديد للدول كافة، مؤكداً أن الوحدة الخليجية ستكون رسالة قاسية لجميع المتآمرين على منطقتنا، وستسقط كل مخططاتهم التي طالما عملوا من أجلها على مر العصور.

وأضاف الشيخ: أن التكتل في وحدة واحدة سيساهم في التنمية الشامل في كل بلدان الخليج العربي بشكل كبير، وسيعمل على تنشيط الأسواق الخليجية، وسيمكن من إيجاد الحلول الاقتصادية لكثير من المشكلات التي تتعرض لها الدول، وسيستفيد منها كل الشعوب الخليجية من دون استثناء.

وأكد الشيخ: أن العالم اليوم لا يعترف سوى بالقوة بكل أنواعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية؛ والتي تمثلها تحالفات واتحادات بين الدول؛ كالاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأميركية، وبالتالي فإن تشكيل وحدة خليجية سيعزز مكان الدول الخليجية عالميّاً، ويجعل منها صوتاً مسموعاً للجميع في انحاء العالم.

وأضاف: أن هناك رغبات قوية من جانب شعوب كل الدول الخليجية والقوى الحية فيها، يجب أن يلتفت إليها من جانب حكام الخليج العربي؛ لمزيد من التقدم الاقتصادي، والاستقرار الأمني والتنمية.

قوات «درع الجزيرة» نسفت «خريطة الطريق» الإيرانية

هدى الحسيني، «الشرق الأوسط» اللندنية، ٢٠١١/٣/١٧

من المؤكد أن قرار دول مجلس التعاون الخليجي إرسال قوات رمزية من درع الجزيرة العربية لمساعدة البحرين في حماية منشآتها الدستورية والاقتصادية والمالية أربك خطط القيادة الإيرانية الخفية -إنما المعروفة- لقلب موازين القوى في دول الخليج العربية.

من المفترض أن يدفع هذا التطور إيران إلى الكشف عن مخططاتها، لكن الأمر مستبعد!

من الواضح أن إيران تستفيد من الانتفاضة في البحرين؛ فهي تصيب عبرها عدة أهداف، أبرزها: تهديد الاستقرار في دول الخليج العربية كلها، ووضع الولايات المتحدة في موقف صعب.

وبالنسبة إلى إيران؛ فإن «الثورات» في دول شمال أفريقيا وتمددها إلى الجزيرة العربية تمثل فرصة ذهبية وتحقق أهدافا لها تعود إلى زمن الشاه محمد رضا بهلوي، وكان قد أعاد إحياءها العام الماضي حسين شريعتمداري -رئيس تحرير صحيفة «كيهان»-؛ الذي طالب بضم البحرين إلى إيران.

اعتاد النظام الإيراني على كفاءته في استغلال قدراته بطريقة سرية؛ لإعادة رسم الواقع السياسي في الكثير من الدول، فهو يعتبر هذه الاستراتيجية قليلة المخاطر؛ إنما ذات مردود عالٍ، وقد اعتمد على قوته في الساحات السرية لتحقيق خططه في البحرين، وعلى مساحة منطقة الخليج العربية كله.

بالنسبة إلى البحرين اعتمد النظام الإيراني على علاقاته السياسية والاقتصادية، وعلاقاته مع أحزاب ومجموعات سياسية لمنع المفاوضات بين المعارضة الشيعية والنظام السني، فأسهم في تصعيد المظاهرات، وإثارة الاشتباكات المذهبية؛ بقصد تحويل الاضطراب السياسي إلى مواجهة مذهبية يمكن أن تعيد رسم توازن القوى في دول الخليج لمصلحة طهران.

واللافت أن الوضع في البحرين تحول من مطالبة المتظاهرين الشيعة بحقوقهم المشروعة إلى ما يبعث الشكوك مع عودة رجل الدين حسن مشيمع (حركة الحق)؛ الذي هو على اتصال وثيق مع النظام الإيراني.

ومن بين الذين أسهموا في منع الجلوس على طاولة المفاوضات في البحرين رجل الدين حجة الإسلام هادي المدرسي -رئيس الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين- (تجدر الملاحظة إلى أن هذه الجبهة كانت وراء المحاولة الانقلابية الإيرانية عام ١٩٨١ ضد القيادة البحرينية)، وكذلك محمد تقي المدرسي العراقي (من كربلاء)، المقيم حاليّاً في البحرين؛ الذي ينسق مع الإيرانيين لتنظيم المظاهرات والأماكن التي يجب أن تغلقها.

يقول كثيرون: إنه ما دام المتظاهرون عزلاً فيجب عدم مواجهتهم.

المتظاهرون في البحرين يرددون كلمة: «سلمية»، وبسببها أقاموا في دوار اللؤلؤ، وعبروا «الرفاع»، ووصلوا إلى القصر الملكي، وأغلقوا كل المنافذ التي تؤدي إلى حي المال.

وللعلم فإن المتظاهرين في «ميدان التحرير» في القاهرة كان سلاحهم كلمة: «سلمية»، وبها أطاحوا بنظام الرئيس حسني مبارك!

فوجئ النظام الإيراني بتطور يوم الاثنين الماضي، ربما لم يكن يتوقع خطوة عسكرية خليجية بهذا الشكل المباشر؛ لأن دول الخليج العربية -وعلى رأسها السعودية- تفضل دائماً العمل الهادئ، وتقبل الصدمات؛ والعمل على استيعابها بالتي هي أحسن.

الآن إذا لم تفعل إيران شيئاً؛ فإن الموجة التي كانت تتحرك لمصلحتها ستتوقف، وقد تسير في الاتجاه المعاكس، وتفقد طهران بالتالي الفرصة التي اعتبرتها فرصتها التاريخية.

أما إذا قررت التدخل العلني في البحرين -الجزيرة الواقعة بين السعودية وقطر (قوتين سنيتين)-، وفيها قاعدة الأسطول الأميركي الخامس؛ فإنها قد تفتح عليها باباً يهدد حتى نظامها؛ فالرئيس محمود

أحمدي نجاد يحمي موقعه بما يعتبره المحافظون الإيرانيون نجاحاً في السياسة الخارجية التي يتبعها، والتي تسمح له بقمع المظاهرات المضادة في الداخل، وتجنيب دخول إيران في أي حرب مباشرة.

قرب الانسحاب الأميركي من العراق حرك شهية إيران؛ التي تحاول استغلاله إلى ما لا نهاية، وتزامنت التحضيرات لهذا الانسحاب مع «ثورات» عربية بدأت شعبية، ولكن لم يعد معروفاً بأيدي من ستنتهي!

بعد تحرك قوات درع الجزيرة العربية في البحرين قد تفضل إيران التمسك بخططها الخفية، وتستغل قدراتها في أفغانستان (الأسبوع الماضي صادرت القوات الخاصة البريطانية في أفغانستان شحنات صواريخ إيرانية مرسلة إلى طالبان)، أو في العراق، أو في لبنان؛ من أجل إثارة أزمة جديدة لتتجنب التورط في وضع لا ترغب فيه في البحرين.

قرب الانسحاب الأميركي من العراق يدفع إلى الاعتقاد أنه المكان الأنسب لفرض الأمر الواقع الذي تتطلع إليه طهران، لكن سرت شائعات مؤخراً في واشنطن بأن الرئيس باراك أوباما قرر الإبطاء أو وقف الانسحاب؛ لأن إتمامه في الوقت المتفق عليه قد يجعل التوازن في العراق يميل لمصلحة إيران، وهذه استراتيجية كارثية!

لكن إذا سلمنا أن هذه مجرد شائعات، وحاولت إيران إشغال الولايات المتحدة في العراق لإبعاد الأنظار عما تفعله هي في البحرين؛ فيمكن لهذا أن يرتد عليها، ويدفع واشنطن إلى تأجيل انسحابها.

كان قد لوحظ أنه ما إن أعلنت دول مجلس التعاون الخليجي عن تطبيقها اتفاقية الدفاع المشترك، وهذا يعني ضمناً: إدراكها أن المظاهرات في البحرين بدأت حقوقاً، وانحرفت لتصبح ممراً للنفوذ الإيراني في الخليج؛ حتى أعلن أصفنديار رحيم مشائي -مدير مكتب الرئيس الإيراني- عن احتمال سفره إلى الأمم المتحدة في ١٨ الحالي للمشاركة هناك في عيد النوروز (رأس السنة الإيرانية/الكردية)، وكان هذا الإعلان بمثابة رسالة إلى واشنطن لتحريك قنوات الاتصال الخلفية للمفاوضات بين واشنطن وطهران.

في ظل الأوضاع المتوترة في العالم العربي؛ ترى إيران فرصتها المهمة لتغيير الواقع السياسي في المنطقة العربية والخليجية، هي تريد أن تظهر أنها قادرة عبر مجموعات شيعية في الخليج؛ أن تضغط على الدول العربية وعلى الولايات المتحدة للتفاوض على التأقلم معها حسب شروطها، فإذا نجحت بذلك فإنها تضمن اعترافاً دوليّاً بنفوذها في العراق والمنطقة المحيطة به؛ بما في ذلك ثروات الطاقة.

تراهن إيران على حاجة الولايات المتحدة الاستراتيجية للتخفيف من أعبائها العسكرية في المنطقة، لكن بعد التطورات الأخيرة في الدول العربية التي أحدثتها «الثورات» تغير الوضع؛ فسقوط نظام حسني مبارك -خلال ١٨ يوماً- أربك الإدارة الأميركية التي اتهمت بالتخلي السريع عن حلفائها، وتحدي العقيد الليبي معمر القذافي للإرادة الدولية التي «أصدرت الأمر» إليه بالرحيل كشف -أيضاً- عن أن الغرب قادر على الإطاحة بـ«الطغاة» الذين ارتبطوا معه بعلاقات وثيقة، وغير قادر على «الطغاة» الذين ابتعد عنهم، أو أداروا له ظهورهم.

وإذا كان ما حدث للرئيس المصري حسني مبارك بمثابة الدرس الذي استفاد منه الزعيم الليبي؛ فإن إقدام القذافي على قصف شعبه غير آبه بكل المبادئ الأخلاقية وليس فقط القوانين الدولية؛ هو الدرس الذي كانت إيران تنوي اعتماده على أساس أن خططها الخارجية قائمة، لكن ما حدث يوم الاثنين الماضي يعني أن صدمة أصابت الإدارة الأميركية التي تهاونت في الدفاع عن حلفائها؛ بغض النظر عن تاريخهم، وأبقت احتمال التحاور مع أعدائها قائماً.

الآن يبدو أن مسار خريطة الطريق الإيرانية في الخليج العربي تعطل؛ نتيجة الحركة الخليجية الجريئة المضادة.

ليس واضحاً ما سيكون عليه رد الفعل الإيراني! قد تحاول إيران التسبب في مشكلات في السعودية، لكن مع الخطوة التي أقدمت عليها الرياض تجاه البحرين؛ فإن محاولات إيران ستواجه الفشل.

كشفت أحداث الأيام الأخيرة عن أن الإيرانيين يواجهون هجوماً مضاداً يهدد مشروعهم الذي عملوا عليه لسنوات طويلة؛ فظنوا أنهم على وشك قطف ثماره.

ومن الواضح أن خريطة الطريق الإيرانية انهارت في جزئها الخليجي.

الحوار السياسي لا يحل النزاع السيادي على الجزر الإماراتية!

بدرية عبد الله العوضي، «القبس الكويتية»، ٢٠١١/٤/٢ (بتصرف)

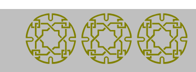
يقترح البعض حق الدول العربية الخليجية باستخدام اسم (الخليج العربي)، مقابل حق إيران في استخدام اسم (الخليج الفارسي).

ونظراً الى تخصصي العلمي في القانون الدولي للبحار منذ عام ١٩٧٥؛ نود الإشارة الى ان هذا الحل السياسي تم تطبيقه جزئيّاً مع الشركات النفطية الأميركية العاملة في الخليج؛ بعد إبرام الاتفاق الثنائي بين المملكة العربية السعودية وإيران في عام ١٩٦٨، على تحديد حدود المياه الاقليمية والجرف القاري المشترك بينهما؛ حيث كان يستخدم اصطلاح (الخليج الفارسي) في العقود النفطية المبرمة مع ايران للتنقيب عن النفط في المياه الإقليمية وفي الجرف القاري الخاضع للسيادة الإيرانية، واسم (الخليج العربي) في العقود النفطية المبرمة مع المملكة العربية السعودية للتنقيب عن النفط في المياه الاقليمية والجرف القاري الخاضع للسيادة السعودية.

وبالنسبة إلى الاقتراح الآخر للزميل الصراف وهو: «إنشاء لجنة حوار» لحل النزاع بين دولة الإمارات العربية المتحدة وبين جمهورية ايران الإسلامية على الجزر الإماراتية الثلاث (طنب الكبرى، وطنب الصغرى، وجزيرة أبو موسى) المتنازع عليها، وأن هذا النزاع لا يمكن حله الا بالحوار السياسي، ومن دون الحوار السياسي لا يمكن حل النزاع بين الدولتين القائم منذ عام ١٩٧١، وتأكيداً لاقتراحكم على أهمية اللجوء الى الحوار السياسي لإيجاد حل لموضوع السيادة على هذه الجزر، هو: تخوفكم من التلاعب الحالي بالخرائط الدولية المعتمدة.

من دون الدخول في الطرق الدولية المعتمدة لإثبات حجية القرائن والوثائق التاريخية والمعايير الدولية لبيان مظاهر ممارسة السيادة القانونية على الأقاليم والجزر؛ وحتى عند إثبات الحقوق السيادية على البحار المتنازع عليها بين الدول؛ كما أكدتها الأحكام الصادرة عن المحاكم الدولية العديدة؛ وبصورة خاصة الحكم الصادر عام ٢٠٠٧ عن محكمة العدل الدولية بأحقية مملكة البحرين في السيادة على جزر الحوار المتنازع عليها مع دولة قطر؛ والتي استبعدت الحوار السياسي والوثائق المزورة، وأصدرت حكمها العادل، استناداً الى الوثائق التاريخية المؤكدة إلى جانب اعتماد مظاهر ممارسة البحرين للسيادة الفعلية على هذه الجزر منذ عام ١٨٢٠.

أخيراً؛ نرى أن الحوار السياسي -أيّاً كان شكله- سيهدر الحقوق الثابتة للإمارات وسيادتها التاريخية على هذه الجزر، والمؤكدة في الوثائق الدولية المعتمدة، وأن الحل الأكثر إنصافاً وعدالةً والمستدام لكل من الطرفين وللاستقرار في منطقة الخليج؛ يكمن فقط في اللجوء إلى القضاء الدولي لحل النزاع على سيادة الجزر الإماراتية؛ لأن اثبات السيادة القانونية تتطلب أكثر من مراوغة وتلاعب السياسيين، أو استخدام الطرق غير المشروعة لحلها؛ مما يجعل اللجوء إلى الحوار السياسي لإثبات الحقوق السيادية للدول على الإقليم الأرضي أو الإقليم البحري تجارب خاسرة دائماً.



أين شيعة الإمارات وقطر؟

سلمان الدوسري، «الشرق الأوسط»، ٢٠١١/٤/٢

سؤال يستحق أن يطرح فعلاً، ففي خضم هذه الهبة العظيمة، والبيانات التضامنية التي خرج بها كثير من العلماء والفعاليات الشيعية الخليجية بشأن ما يحدث في البحرين؛ يلتفت المراقب ليبحث عن شيعة قطر والإمارات! أليسوا شيعة -أيضاً-؟ لكنه يجد الموقف لديهم مختلفاً كليّاً؛ فهم مواطنون أولاً قبل أن يكونوا شيعة، ولم يقفزوا على مواطنتهم لصالح طائفتهم في أي وقت من الأوقات؛ حتى لو حانت الفرصة!

شيعة الإمارات وقطر يسجل لهم أنهم حالة مختلفة عن نظرائهم في دول الخليج الباقية، وهذه حقيقة وليست تحليلاً، فطوال تاريخ تعايشهم مع الغالبية السنية في بلادهم تمكنوا من الاندماج بصورة شبه كاملة مع باقي مكونات مجتمعهم المحلي؛ حتى غدا اندماجهم بهذه الصورة يستحق الإعجاب والإشادة، فلم يعرف عنهم الخروج بموقف أو بيان يحسب لطائفتهم، وظلوا يعمقون مفاهيم المواطنة بصورة مذهلة، مؤكدين يوماً بعد آخر أنهم مواطنون، ومواطنون فقط.

وبحسب تقرير الحريات الدينية الصادر عن وزارة الخارجية الأميركية لعام ٢٠١٠؛ فإن نسبة الشيعة في الإمارات تصل إلى ١٥%، بينما تصل النسبة في قطر إلى نحو ٥% من السكان، ومع هذا فإنه لا يمكن تقسيم المجتمع الإماراتي أو القطري إلى شارع سني وآخر شيعي، كما لا يمكن القول: إنهم منفصلون عن واقعهم المحلي، بل لا يمكن حتى التفريق بين المواطن السني والمواطن الشيعي في هاتين الدولتين، فالزي واحد واللهجة نفسها، بينما نرى الصورة -للأسف- مقلوبة بالكامل في الدول المجاورة.

غني عن القول أن العرب يشكلون الغالبية الكبرى من الشيعة في دول الخليج، وهذا أمر في غاية الأهمية لتحقيق مبادئ المواطنة، ليس طعناً في الشيعة من أصول غير عربية، بل للتأكيد على أن الشيعة جزء أساسي من نسيج المجتمعات الخليجية منذ نشأتها، فهم ليسوا طارئين جاءوا في مرحلة تاريخية معينة، ولم يعرف عنهم أي خروج عن مفهوم الدولة؛ إلا في حالات محدودة جدّاً، وظل ولاء غالبيتهم العظمى لدولهم أولاً، ثم لمذهبهم أو مراجعهم الدينية.

لكن هذا الولاء المطلق للدولة تراجع بعض الشيء مع الثورة الإيرانية، وهنا يقول المفكر باقر سليمان النجار في كتابه «الحركات الدينية في الخليج العربي»: إن سقوط نظام الشاه وإقامة نظام إسلامي شيعي في إيران «قد أحدثا تغيرات مهمة، ليس في مزاج التجمعات الشيعية في الخليج، وإنما -أيضاً- في المنطقة العربية كلها».

لكن السؤال: لماذا هذا التغير في المزاج الشيعي الخليجي لم ينطبق على شيعة الإمارات وقطر؟ وهو ما يرسخ فكرة آمن بها، وعمل عليها هؤلاء؛ بأن مبدأ ولائهم للدولة ثابت، مهما تغيرت الأوضاع السياسية والاجتماعية بالمنطقة، ولا بد من الإشارة إلى أن هناك فعلاً بعض المحاولات في الاتجاه نفسه؛ قام ويقوم بها الكثير من شيعة الخليج، لكنها سرعان ما توأد، بفعل متطرفين يختطفون قرار الأغلبية، والأمثلة والشواهد كثيرة.

وقد يقول قائل: لكن الشيعة في دول الخليج لم يأخذوا حقوقهم كما هم شيعة الإمارات وقطر؟

ونرد بالقول: وماذا عن حقوقهم الكاملة في الكويت.. مثلاً؟ ماذا عن تمثيلهم الملحوظ بقوة والمستحق في مجلس الأمة أو مجلس الوزراء؟ ماذا عن معارضة البحرين الشيعية التي حصدت ١٨ مقعداً بالانتخاب في مجلس النواب المكون من ٤٠ مقعدا؟ وكذلك تعيين شيعي كنائب لرئيس الوزراء؛ وهو الأمر الذي لم يصل إليه السنة في البحرين من غير الأسرة الحاكمة، ولا ننسى السعودية التي سعت بشكل كبير لتعزيز مكانتهم وتمثيلهم، وإعطائهم حقوقهم التي قدمت لهم من أعلى المستويات وعبر قيادة البلاد نفسها؛ سواء عبر مشاركتهم في مجلس الشورى أو جلسات الحوار الوطني، أو -أيضاً- تمكنهم من حقوقهم الدينية الكاملة غير المنقوصة؛ ومع كل هذا فلا يمكن

لأحد أن يقول: إن ما يحصل وسيحصل هو كاف، أو هو منة تقدمها دول الخليج لمواطنيها، فهو حق للمواطنة التي يحملونها.

التجربة الشيعية، -إذا صح التعبير- في الإمارات وقطر أثبتت أن الولاء للوطن هو السقف الذي لا يمكن أن يفوقه أي سقف آخر، وأن الولاء لا يمكن أن يتجزأ؛ سواء لقبيلة أو منطقة، وبالتأكيد لطائفة.

الشرخ الطائفي قد يكون خطيراً جدّاً، والأخطر منه تركه يعالج نفسه بنفسه من دون محاولات حتى لرقعه.. فهل نتركه؟! ثم نصيح ونقول: إن الشق اتسع على الراقع؟

شبكة تجسس إيرانية في الكويت

«جريدة الشرق الأوسط»، ٢٠١١/٤/٢ (باختصار وتصرف)

أصدرت محكمة كويتية أحكاماً بالإعدام الأسبوع الماضي بحق إيرانيين اثنين وكويتي؛ بتهمة الانتماء لشبكة تجسس إيرانية، كما حكمت على اثنين آخرين بالسجن المؤبد.

ونشرت صحيفة «القبس» الكويتية أمس ملفاً ضخماً، تناول حيثيات حكم محكمة الجنايات، وتفاصيل القضية، وتاريخها، وتشكيل الخلية، وكيف تورط المدانون فيها.

وذكرت الصحيفة أنه تبين خلال المحاكمة أن المتورطين السبعة كانوا مجندين لدى جهاز الاستخبارات الإيرانية، وكانوا يتقاضون مبالغ مالية مقابل ذلك منذ عام ٢٠٠١، وأن المتهمين أقروا بتصوير مواقع عسكرية حساسة في البلاد «والمنشآت النفطية التي كانوا يعتزمون تفجيرها؛ بتحريض من أعضاء في الاستخبارات الإيرانية؛ الذين زودوهم بمواد تفجيرية، وكانوا يلتقون بهم في سفارات بلادهم في الكويت والبحرين وإندونيسيا؛ فضلاً عن المقر الرئيسي في طهران».

كما اتضح خلال سير المحاكمة «كيفية تورط المتهمين وآلية تجنيدهم من قبل الملحق السياحي الإيراني في الكويت علي ظهراني، وكيفية تشكيل الخلية خلال ٩ أعوام؛ بهدف الإضرار بمركز الكويت الحربي والسياسي والاقتصادي؛ فضلاً عن رصد المواقع العسكرية، واختلاس الوثائق، وتصوير الأرتال الأميركية، ومعسكر عريفجان، وقاعدة علي السالم، ومعسكر فرجينيا، والمنشآت الحساسة والحيوية والنفطية».

كما نشرت الصحيفة لائحة بالأموال التي كان أعضاء الخلية يتقاضونها مقابل المعلومات التي بحوزتهم وحسب أهميتها، وتراوحت المبالغ ما بين ٥٠٠ دينار كويتي مقابل كشوف بأسماء عسكريين وضباط أو لرصد إحداثيات خط أنابيب النفط، و٣٠٠٠ دينار كويتي مقابل معلومات هاتفية عن اصطفاف القوات الأمريكية شمال البلاد وتحركاتها، وصعوداً إلى ٤٥٠٠ دينار كويتي مقابل معلومات عن مواقع معسكرات الجيش الكويتي والأميركي وأماكن الصواريخ بالكويت وصور الأرتال العسكرية والمنشآت النفطية مخزونة على قرص مبرمج (سي دي).

وبحسب إفادات ضابط في أمن الدولة؛ فإنه: «في نهاية عام ٢٠٠٩ وردته معلومات أكدتها تحرياته السرية وأعمال المراقبة بأن المدعو علي ظهراني الذي يعمل دبلوماسيّاً بوظيفة ملحق سياحي بالسفارة الإيرانية بالكويت هو عضو فاعل في جهاز الاستخبارات الإيراني المدار من قبل الحرس الثوري الإيراني؛ الذي من أهدافه: كشف الكويت من كل جوانبها؛ وخاصة القوة الدفاعية لها، وكذا معرفة أماكن وجود القوات الأمريكية الحليفة على أراضيها ومراكز قوتها، فتمت مراقبته لمعرفة ورصد تحركاته ونشاطاته؛ التي تبين له أنها مشبوهة؛ لكثرة تنقله في كثير من المناطق داخل دولة الكويت بمفرده ومستقلاً مركبات متعددة غير دبلوماسية، وبإجراء المزيد من التحريات؛ أسفرت عن أنه يقوم بإدارة شبكة تخابرية لجمع المعلومات عن الكويت، وإبلاغ دولة إيران بها، وينتوي من خلالها القيام بأعمال تخريبية داخل هذه الدولة تضم المتهمين جميعاً».

كما تبين أنه تم بناء اللبنة الأولى لهذه الخلية في غضون عام

٢٠٠١؛ عندما تم تجنيد المتهم الأول طارق هاشم مزبانيان لدى وجوده في إيران لاتخاذ إجراءات حصوله على الجنسية الإيرانية (جنسية أجداده)؛ بناء على طلب الجيش الكويتي لتسوية أوضاعه وقرنائه من فئة «البدون» العاملين بالجيش بشأن ضرورة حملهم لأي من الجنسيات المعترف بها.

وتوصلت التحقيقات الكويتية إلى أن مسؤولي الجنسية في إيران قاموا «بمساومته على منحه الجنسية الإيرانية مقابل تزويد جهاز مخابراتهم بمعلومات عن الجيش الكويتي وعمله به، وأعطوه لقاء ذلك مبلغاً نقديّاً بالعملة الإيرانية بما يعادل ١٥٠٠ دينار كويتي، وإيصالاً يحمل اسمه موجها للسفارة الإيرانية بدولة الكويت؛ لتسهيل حصوله وبعض أشقائه على الجنسية الإيرانية».

وبحسب التقارير الكويتية؛ فإن الاتصال بالسفارة الإيرانية كان يمر عبر أحد عناصر الخلية حسين كريم جواهر؛ الذي «تربطه صلة بالمدعو سيد منوجهر سيد جلالي -الملحق العمالي بالسفارةالإيرانية، وعضو جهاز الاستخبارات الإيراني-».

الشيعة اللبنانيين بدول مجلس التعاون الخليجي

«موقع لجينيات»، ٢٠١١/٣/٢٤

كشفت مصادر ديبلوماسية عربية في لندن: أن دول مجلس التعاون الخليجي تتجه إلى «اتخاذ قرار جماعي بإبعاد كل اللبنانيين الشيعة؛ الذين لهم علاقة بـ «حزب الله» و«الحرس الثوري» الإيراني، في مدة لا تتجاوز منتصف الشهر المقبل»، بعدما «تسلمت من الاستخبارات البحرينية والأميركية والفرنسية تقارير ثبتت صحتها عن وجود عناصر من الحزب والحرس يقودون مع رجال دين محليين التظاهرات في البحرين والمنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية».

وبحسب ما نشرته صحيفة «السياسة» الكويتية، في عددها اليوم الخميس؛ أوضحت المصادر الديبلوماسية: أن الخطوات التي اتخذتها البحرين لجهة تحذير مواطنيها من السفر إلى لبنان، وتعليق جميع الرحلات الجوية إلى هذا البلد، بعد إدانة التصريحات «العدائية» للأمين العام لحزب الله حسن نصر الله؛ تمهد الطريق أمام إبعاد آلاف الشيعة اللبنانيين من دول مجلس التعاون الخليجي.

ونقلت عن مسؤولين كبار في المنامة قولهم: «لن يبقى شيعي لبناني مرتبط أو مشكوك فيه بـ «حزب الله» و«الحرس الثوري» في الخليج، وعليهما أن يفهما ذلك من الآن»، مؤكدة أن لدى الأجهزة الأمنية البحرينية: «عشرات الأسماء من رؤساء كوادر قتالية واستخباراتية أو تجار في «حزب الله» وقفوا وراء المتظاهرين الشيعة في البحرين، وهاجموا مؤسسات حكومية ومواقع أمنية وأحرقوها، في محاولة لتحويل المملكة إلى ما يشبه ليبيا حاليّاً.

لكن إسراع دول مجلس التعاون في إرسال قوات «درع الجزيرة» إلى البحرين قطعت على هؤلاء العملاء الأجانب -الذين يتلقون أوامرهم مباشرة من قيادة «الحرس الثوري» في طهران- فرحتهم في النجاح بالسيطرة على البلاد، وتقديمها على طبق من فضة إلى النظام الإيراني؛ الذي من بين أهدافه في المنطقة: احتلال البحرين؛ بعد احتلاله الجزر الاماراتية الثلاث، وبعد محاولته العام ٢٠٠٩ ضرب أمن دولة الإمارات بعناصر تابعة لـ «حزب الله»، أبعدتهم السلطات الاماراتية إلى لبنان، وعددهم حوالي ١٥٠ عنصراً».

وكشفت المصادر: أن المنامة تستعد لإبعاد حوالي ٩٠ شيعيّاً لبنانيّاً، معظمهم اعتقل خلال الأحداث الأخيرة، فيما تجري السلطات البحرينية «جردة نهائية» لعدد اللبنانيين الشيعة المقيمين على أراضيها؛ من موظفين، وطلاب، وعمال، تمهيداً لإبعادهم نهائيّاً، علماً أن هناك حوالي ٤ آلاف عائلة لبنانية تقيم في المملكة من أصل مئات آلاف العائلات المقيمة في دول الخليج.

وفي هذا الإطار ترددت معلومات عن اعتقال السلطات البحرينية أول من أمس ٥ لبنانيين من عائلة فنيش، يعملون في أحد مطاعم المنامة بتهمة «التخابر مع جهات خارجية».

ووفقاً لمصادر رسمية في بعض عواصم دول مجلس التعاون؛ فإن «تبادل المعلومات بين أجهزة أمن المنطقة تلحظ ارتفاعاً مقلقاً لعدد العناصر التابعين لـ «حزب الله» أو المؤيدين له، وذلك استناداً إلى تقارير استخباراتية واردة من لبنان إلى تلك الأجهزة، تعرف عن كل عنصر شيعي يدخل دولة خليجية منذ مطلع الألفية الثانية».

وتقدر المصادر عدد عناصر ومؤيدي «حزب الله» و«الحرس الثوري» في دول مجلس التعاون بـ «آلاف عدة، غالبيتهم يتمركزون في السعودية والكويت والإمارات والبحرين، والقليل القليل منهم لا يتقن اللغة العربية، كما ثبت من بعض حالات الاعتقال التي تمت إثر حوادث جرى اعتقال فاعليها وإبعادهم إلى الخارج».

وفي بيروت كشفت معلومات عن انزعاج لبناني رسمي من كلام الأمين العام لـ «حزب الله» حسن نصر الله، وتبعات تدخله السافر في شؤون البحرين على مصالح اللبنانيين في المملكة، وفي سائر دول الخليج العربي، في ظل مخاوف جدية من مغبة أن تبادر البحرين وغيرها من دول مجلس التعاون إلى التضييق على اللبنانيين المتواجدين على أراضيها.

وأفادت المعلومات أن تصريحات نصر الله أثارت استياءً في أوساط الجاليات اللبنانية في البحرين وعدد من الدول الخليجية؛ باعتبارها تشكل تدخلاً في الشؤون الداخلية للبحرين، ومحاولة لإدخال لبنان في صراعات أكبر منه ولا قدرة له على تحملها؛ سيما وأن اللبنانيين المقيمين في الخليج هم الذين سيدفعون الثمن قبل غيرهم، وبالتالي فإن لا مصلحة للبنان في أن يزج نفسه بأمور لا تعنيه، وتعتبر تدخلاً فاضحاً في شؤون الآخرين.

وكشفت المعلومات أن عدداً من كبار المسؤولين اللبنانيين أجروا سلسلة اتصالات مع مسؤولين بحرينيين وخليجيين لتطويق تداعيات العاصفة التي أحدثها كلام نصر الله، والتأكيد على أن ما قاله الأخير لا يمثل الموقف اللبناني الرسمي مطلقاً؛ خاصة وأن لبنان ينتهج سياسة واضحة في عدم التدخل بشؤون الآخرين، وأنه حريص على المحافظة على علاقاته مع جميع أشقائه وأصدقائه؛ وبالتحديد الدول الخليجية التي تحتضن جاليات لبنانية كبيرة أسهمت بشكلٍ فاعل في تعزيز قدرات الاقتصاد اللبناني؛ من خلال التحويلات التي ترسلها إلى الوطن الأم سنويّاً.

حسن نصر الله..
بين شيعة «الجارية» وشيعة.. «الست»!!

فؤاد الهاشم، «الوطن الكويتية»، ٢٠١١/٣/٢١ (باختصار)

لاحظت أن بشرة «زعيم النصر الالهي» سماحة السيد «حسن نصر الله»!! -وهو يتحدث من جديد الى عشاقه عبر شاشات التلفزيون العملاقة- قد أصبحت أكثر.. بياضاً! نتيجة البقاء لأكثر من أربع سنوات تحت الأرض وبعيداً عن أشعة الشمس، في الوقت الذي تحولت فيه أجساد و«بشرات» قادة الجيش الإسرائيلي الذين حاربوه وحاربهم في عام ٢٠٠٦ إلى اللون البرونزي الجميل؛ نتيجة تمتعهم بأشعة الشمس على رمال سواحل حيفا، وبحيرة «طبريا»، تحت سفوح الجولان السوري المحتل!!

أدّوا مهمتهم في الدفاع عن بلدهم ضد عدوهم «اللبناني اللسان، الإيراني الهوى»، ثم تقاعدوا وتركوا إكمال المشوار لغيرهم من الدماء الجديدة الشابة، ومارسوا حياتهم اليومية -فوق الأرض وتحت الشمس الساطعة- إلى أن يأتيهم أحد الأجلين؛ أما «عزرائيل»، أو استدعاء الجيش لهم عند الضرورة.

لكن «زعيم النصر الالهي» لا أحد يستطيع أن يقنعه بالخروج من سراديبه التي حفرها لنفسه بعمق ثلاثة طوابق تحت الأرض! لأن حياته أهم بكثير من حياة مئات الآلاف من شيعة الجنوب «المشحّرين والمعتّرين»؛ ممن ترتبط مصائر حياتهم وأرواحهم وأعمالهم ومستقبلهم بقرار فجائي يتخذه «السيد» باختطاف جندي إسرائيلي أو «التحركش» باحدى سفارات «تل أبيب» في الخارج، لكي يشعل حرباً طاحنة يسيل فيها الدم اللبناني بكل طوائفه كالأنهار في زمن

الفيضانات وليعود ثانية ليخرج على الناس قائلاً: «أنا ما كنت أعرف إنو راح يصير.. هيك»، أو: «لو كنت باعرف إنو رايح يصير هيك ما عملت هيك»!!

ثم يبحث نصارى لبنان وشيعة لبنان وسنة لبنان ودروز لبنان واكراد لبنان وارمن لبنان عن «صيدلية سياسية»؛ يصرفون بداخلها تلك «الروشتة» التي تكرم بها عليهم سماحة السيد «حسن» -دام ظله!!- زعيم النصر الإلهي في خطابه قبل ثلاثة أيام، شمل بكراماته وبركاته وأدعيته شعب تونس وشعب مصر وشعب ليبيا، ثم عرج على البحرين؛ فانكسرت حروفه العربية، وظهرت «الرطنة» الفارسية، فأطال وأسهب في الحديث عنها!!

ومع ذلك؛ سنقول بأننا نوافق على كل أطروحاته حول «نظام البحرين الذي يقمع الأحرار، ويبطش بالأطيار، ويدمع السمّار»، **فهل قيام حزب الله اللبناني بتدريب وتوجيه وإرشاد ودعم المتظاهرين في شوارع المنامة والمحرق وهم يحملون أعلاماً بحرينية «مزورة» جعلوا من أسنان ألوانها البيضاء -«التي هي خمسة في الأساس، وتشير إلى أركان الإسلام؛ ليجعلوها اثنى عشر!»- نسبة الى المذهب الاثنى عشري الذي ينتهجه «الولي الايراني الفقيه»**؛ فيه دعم للعرب والعروبة والعاربة.. والمستعربة؟

فإن كان الولي هو «الأصل» في هذه «الثورة»؛ فلماذا لم يصبح اللون الأبيض في ذلك العلم.. برأس وسن واحدة على الأقل؟!

نريد من سماحة زعيم النصر الإلهي أن يخبرنا عن نوعية ثورة البحرين؛ هل هي تونسية الهوى، أم مصرية القلب، أم ليبية المشاعر، أم يمنية الوجدان..

أم.. «اثنى عشرية الاتجاه»، «ايرانية» المنشأ، وفقهية.. «المشهد»؟!

تحدث سماحة السيد «حسن نصر الله» عن «الثورات العربية، والانتفاضات الشعبية، والصدور التي تفجرت من العصبية، والنفوس التي تدمرت من.. الطبقية»، و.. عن الأنظمة الشمولية، والديكتاتورية والرجعية والاستخباراتية، وكأنه «جمال عبدالناصر» أو «تيتو» أو «باتريس لومومبا» أو «كاسترو» ونسي تماماً أمرين اثنين لا ثالث لهما:

الأول: أنه مع أركان حزبه الإيراني-السوري، وجماعة عون وجنبلاط، وحركة أمل قد تولوا السلطة في لبنان وصاروا.. «نظاماً عربيّاً»، مثلهم في ذلك مثل جيرانهم في سورية!

وبالتالي؛ فإن عليه أن يحذو حذو أقرانه من الأنظمة العربية المتهالكة، ويحمل عصاه على قفاه وكاهله، ثم يرحل، ويترك شعب لبنان ليعود «للحكي باللبناني»؛ بعد أن «زهق» من «الرطنة» بالإيراني، و«كسر الحنك».. بالسوري!

الأمر الثاني: أن المظاهرات التي تجتاح مدن سورية من «درعا» إلى «حمص» قد تستحق نظرة «حنان وشفقة» من سماحته، مثلما يحتاج الملايين من شيعة إيران الذين تقمعهم الآلة العسكرية للحرس الثوري منذ أكثر من سنة..

أم أن «السني أو العلوي أو النصراني» السوري مع الشيعي الإيراني هم من «أولاد الجارية»؟! بينما يتحول «شيعة البحرين» في نظره -دام ظله اللبناني- إلى أولاد.. «الست»؟!

